
كوريا
شعب
وثورة
وزعيم
مصطفى كمال

إهــــــــداء٢٠٠٩

الدكتور/ متولي السلماوى

جمهورية مصر العربية

كُورْيَا

شعب .. و ثورة .. و زعيم

مصطفى كمال

مقدمـــة

هذا الكتاب عن كوريا . ولكنه لنا ؛ نحن العـــرب ، ومن أجلنا ..

فالتجربة التى خاضها ويخوضها الشعب الـكورى تستحق منا ان نلتفت اليها ، فندرسها كأعمق ما تكون الدراسة ونحاول منها أن نتعلم .. وان نستفيد .

ان كوريا بلد صغير المساحة ، محدود العدد ، كان مثلنا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية مقيداً بأغلال الاستعمار الذى فرض عليه التخلف وأخذ يستنزف ثرواته عشرات السنين .

ولم يكد يظفر بالاستقلال **فى نهاية الحرب** حتى انقض عليـه الغول الامريكى بكل وحشيته وجبروته ، يريد أن يلتهمه التهاما ، مستعينا فى ذلك بجيـــوش خمســـة عشر دولة من الأتبـــاع والأذناب .

ولكن الشعب الكورى وقف صامدا للعـــدوان ، وخرج من المحنة ظافرا محققا أول انتصار حاسم فى التاريخ على « أكبر وأقوى وأغنى دولة فى العالم » كما يحب الامريكيون وأولياؤهم أن يصفوا الولايات المتحدة الامريكية ..

ومع أن العدوان الامريكى أحال كل مدن كوريا وقراها الى أنقاض ، وقتل وشوه من ابنائها أكثر من مـــليون ، ودمر كل مصانعها ومنشئاتها تقريبا .. الا أن الشعب الكورى أعاد بنـــاء بلاده على **مدى عشرين عاما** ، بادئا من نقطة الصفر ، فاذا بهـــا

اليوم ـ على صغرها ـ دولة صناعية اشتراكية متقدمة ، تحقق لشعبها مستوى ماديا وثقافيا مطرد النمو والازدهار ، وقلعة منيعة قادرة على حماية أرضها ، وقطع يد كل معتد يفكر فى انتهاك حرمتها [*]

فكيف استطاعت كوريا صنع المعجزة ؟

كيف انتصر شعبها رغم ضعف امكانياته المادية على أمريكا بكل أسلحتها وهيلمانها ؟

كيف تمكنت كوريا التى التهمت القنابل الامريكية مدنها وقراها ومصانعها ومزارعها أن تقف من جديد لكى تقيم اقتصادا وطنيا مستقلا قويا ناميا ، ولكى تطور ثقافة وطنية اشتراكية مزدهرة ، ولكى تدعم قدرتها الدفاعية بالشكل الذى يجعلها تدوس أنف **الولايات المتحدة** وتمرغه فى التراب كما شهدنا فى حادث أسر السفينة بويبلو فلا يملك الغول الامريكى الوقح الا الانحناء والاستسلام ؟

ما هو السر الذى جعل الشعب الكورى فى النصف الشمالى من بلاده ، قادرا على صنع كل هذه المعجزات ؟

كان هذا هو السؤال الذى يلح على خاطرى كلما تأملت شبه جزيرة كوريا على الخرائط أو قفز اسمها ضمن الأنباء والأحداث أو شاهدت فيلما أو عرضا فنيا لبعض فرقها .. أو وقع بين يدى شيء من مصنوعاتها التى كثيرا ما تصل الينا عبر البحار وطبقا للاتفاقيات التجارية ...

ولقد قرأت الكثير من الكتب .. ولكن اجدادنا قالوا ، ليس من سمع .. أو من قرأ كمن رأى ..

ولهذا كان لا بد لكى أجد الاجابة الصحيحة على السؤال ، ان أشهد بعينى التجربة التى صنعها الشعب الكورى .

وهـــكذا .. ذات يوم من صيف ١٩٧٢ ، كان كاتب هذه السطور يحلق فوق سهول سيبريا الشاسعة فى طريقه الى الشرق الاقصى ... **الى بيونج يانج** .. محاولا منذ اللحظة الاولى لرحلته ان يلغى .. أو يركن جانبا .. اعجابه المسبق بالشعب الكورى ، وأن يتأمل كل شىء بعين محايدة حتى تكون رؤيته موضوعية ، وحتى يستطيع أن ينقل الصورة لأهله صادقة كما هى فى الواقع ، وليس كما يزينها الاعجاب والانبهار ..

ولقد قضيت فى كوريا اكثر من اسبوعين لم يكن لى خلالهما حظ من راحة أو استرخاء ، وانما كانت كلها رحلة عمل ودراسة وتأمل .. ذرعت خلالها ذلك البلد العجيب من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وزرت عشرات المتاحف والقرى والمصانع والمزارع والمدارس والمسارح .. وقابلت العديد من الناس .. مسئولين فى قمة السلطة ومزارعين بسطاء فى حقول الارز أو أطفال صغار فى دور الحضانة ..وناقشت العديد من الأجانب ومن أهل البلد ...

كل هذا لكى تكون الاجابة على السؤال الملح أكثر كمالا واقرب ما تكون الى الحقيقة .

ولكى أقدمها عندما أعود هدية الى بلدى ..

ثم يبقى بعد ذلك كلمة صغيرة لا بد منها قبل أن أفرغ من المقدمة ..

تلك هى أن كوريا التى أتحدث عنها هنا ، انما هى الشطـر الشمالى فقط من شبه الجزيرة الكورية .. أى كوريا الشعب الكورى .. أما الشطر الجنوبى .. أى كوريا الامبريالية الامريكية فليس له دور من هذا الحديث ..

ثم ماذا ؟

ثم نبدأ معا رحلتنا فى كوريا

الفصـل الأول

المسافة من موسكو الى بيونج يانج ، عاصمة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية تقطعها الطائرة التى تصل سرعتها الى اكثر من ألف كيلومتر فى نحو ١٣ ساعة ، تتوقف خـلالها مرتين فى مدينتين من مدن سيبريا هما أو مسك ثم أركوتسك ، لتتيح للركاب قسطا من الراحة وللتزود فى نفس الوقت بالوقود .

ولكن هذا ليس كل شيء ، وانما عليك أن تقـدم ساعتك ٦ ساعات أخرى هى فارق التوقيت بين موسكو وبيونج يانج ، ودع عنك ذلك الاحساس بأن ربع يوم كامـل قد ضـاع من عمرك .. فهذه الساعات الست ليست سوى قرض بلا فوائد ، ستستعيده بالكامل وأنت فى طريق العودة ..

وعندما أشارت كلمات اللوحة المضيئة فى صدر بهو الركاب بالطائرة الى ضرورة ربط الأحـزمة والامتناع عن التدخين ، وبدأ مؤشر جهاز قياس الارتفاع يميل للهبوط ، ايقنا اننا أخيرا قد وصلنا الى نهاية رحلتنا ، واخـذت عبر النافذة الضيقـة المستديرة أتأمل الأرض وهى تقترب منا ، وتتضح معالمها شيئا فشيئا ..

وكان فى ظنى انى سأرى تحتى العاصمـة التى نقصدها ، وأشهد مبانيها مثـل علب الكبريت أو لعب الأطفال وهى تكبر شيئا فشيئا كلمـا اقتربت الطائرة من الأرض حتى يصبح فى وسع المرء أن يميز النوافذ ، بل وحتى السيارات فى الطريق ..

ولكن ما شاهدته كان منظرا آخر .. منظرا جعلنى أهتف دون وعى .. ما كل هذا الجمال .. بحر هـائل من الخضرة المتعددة المدرجات .. تقوم فيه الروابى مقام الأمواج ، وريح خفيفة تداعب قمم الأشجار الزاهية ، والروابى التى لا آخـر لها تلقى ظلالها الطويلة تحت شمس الأصيل فوق الوديان .. حيث تستطيـع العين الآن أن تلمح هنا او هناك أبقار الفريزيان ذات الجلد الأبيض والأسود وهى ترعى الكلأ فى أمان ..

وهذا صوت المحركات .. وبعد لحظات ، كنت أقف على سلم الطائرة أتأمل ما حولى وكأنى مواطن من احدى قرى اسيوط يصل لأول مرة الى محطة القاهرة ..

المطار واسع ، والممرات تبدو وكأنها مرايا مصقـولة ، تزين مبناه صور الزعيم كيم ايل سونج وشعارات كثيرة باللغة الكورية لعلها اقتباسات من تعاليمه أو نداءات للحزب أو تحايا للضيوف.

وهناك على مرمى البصر تسبح فى ضـــوء الشمس سلاســل الروابى الخضراء ، وكأنها خلفية لوحة رائعة ابدعها فنان قدير ..

وهنا ، تحت سلم الطائرة عدد من المستقبلين ، يتطلعون الى النازلين فى ترقب باسمين ويتقدمهـــم طفلتان فى ثياب ملونة وتحملان باقتين من الزهور ..

ويهمس زميلى فى الرحلة ، الاستاذ عبد العزيز عبد الله وكيل نقابة الصحفيين :

ــ يبدو أن معنا على الطائرة شخصية هامة اعـدوا لها هذا الاستقبال ..

ثم نفاجأ وأقدامنا تلمس الأرض اننا نحن الشخصيات الهامة التي ينتظرها موكب الاستقبال .. وقبـــل ان ندرى ما نفعل او ماذا يصنع بنا نجد أنفسنا وسط مظاهرة ترحيب والمصورين من حولنا يلتقطون صورا شاهدنا بعضها في صحف اليوم التالى ، واحدى الطفلتين تتقدم منى ، كما تتقدم الأخـرى من زميلى ، وتضع باقة الزهور بين ذراعى ، ثم تحتضن يدى ضاغطـة عليها في حنان وترحيب ، وهى تقول شيئا باللغة الكورية لم افهمـه بالطبع ولكن لا بد انه يعنى « حمد الله على السلامة » ، فقد كانت عيناها تقولان ذلك .. وتذكرت ساعتها قولا لصديقنا الشاعر كمال عمار عن لغة العيون .. التى يفهمها الجميع دون حاجة الى معاجم اللغات ومجلدات القواميس ..

وبحرج شديد .. تخلصت من يد الطفلة الصغيرة وأنا أجيب على تحياتها بالانجليزية مرة وبالفرنسية مرة أخرى .. ولعلها هى أيضا لم تفهم اللغة التى أتحـدث بها ، ولكنى ازددت ايمانا بلغة العيون ، وعالميتها عندما وجـــدت ابتسامتها البريئة تزداد اتساعا قبل أن ينقل اليها المترجم ما أقول ..

وفهمت من الترجمة أن الطفلة تقول لى : باسم اطفال الشعب الكورى ، نرحب بك فى بلدنا ..

وكان أول ما لفت نظرى ، اللهجة الواثقة التى تتحدث بهـا الطفلة الصغيرة ، ونبرة الحب والاعتزاز التى هزت صوتها وهى تردد « زعيمنا المحبوب كيم أيل سونج » .

واخذت بعين الناقد أتأملها .. كما تأملت بعينين مفتوحتين كل ما حولى ومن حولى بالمطار .. انها فى الثامنة من عمرها على

اقصى تقدير . لون بشرتها أميل الى السمار . خدودها المتوردة تدل على أن صحتها جيدة . زيها الوطنى من الحرير الطبيعى ، ومتعدد الالوان ، ولكن يغلب عليه اللون الأحمر ..

وتقوم بمهمتها برشاقة ، وبساطة وتبـــدو سعيدة بها .. نفس الحركات الرشيقة البسيطة التى تتحـــرك بها راقصات الباليه والفن الشعبى فى كوريا والتى تسبغ على رقصاتهـــن سحرا من نوع خاص ..

ثم انتقلت عيناى الى الشاب الذى كان على رأس المستقبلين والذى علمنا فيما بعد انه نائب رئيس اتحاد الصحفيين الكوريين ، وأنه ليس شابا كما يبدو وانما قد تخطى الأربعين ببضع سنين وأنه أيضا يبدو بسيطا فى منتهى البساطة تزين وجهه ابتسامة عريضة لا تملك الا الاستجابة لجاذبيتها والثقة بصاحبها .. وكان ترحيبه بسيطا فى غير تكلف ولكنه نابض بالحرارة ..

ومرة أخرى أحس فى كلماته وهو يذكر اسم الزعيم كيـــم ايل سونج بنفس نبرة الاعتزاز التى أحسستها فى صوت الطفلة الصغيرة ..

ويكون هذا هو أول انطباع لى عن علاقة الشعب بزعيمه فى كوريا ..

ان حب هؤلاء الناس واعتزازهم بزعيمهم ليس مسألة واجب أو شيء مفروض ، وانما هو احساس حقيقى نابع من وجدانهـــم جميعا بغير استثناء .. احساس يمتزج به الحـــب بالتقدير . والولاء بالاعتزاز ، لا يختلف فى ذلك طفل المدرسة الابتـــدائية عن

مدير الجامعة ولا بواب الفندق عن سكرتير اللجنة المركزية ..

وحب الناس هنا للزعيم كيم ايل سونج جزء من حبهم العظيم للوطن ، انه حب منبثق من ايمانهم الراسخ بأنهم يستطيعون أن يعتمدوا عليه ويتبعوه دائما فى تنفيذ كل ما يكلفونه به .. فكيم ايل سونج هو الوالد العظيم للايين الشعب الكورى .

.. فهو الذى قاد معـــركة الشعب الكورى على مدى ٤٥ عاما ضد الاحتلال اليابانى ثم ضد العدوان الامريكى .. وانتصر . وهو الذى أسس الحزب .. العمود الفقرى للجماهير وملهم حماسهم ومنظمهم من أجل الثـورة والتقدم والانتاج .. وهو الذى وضع الخطوط الرئيسية لخطط التنمية الاقتصادية التى نقلت الشعب من اقصى حالات الفقر والتخلف الى مستوى مرتفع مطرد النمو والازدهار ..

بفضل قيادة الزعيم كيم ايل سونج يستطيع الشعب الكورى الذى ذاق الأمرين طوال تاريخه الطويل على ايدى الأعداء والمستغلين ان يتطلع اليوم بكل ثقة الى غد افضل .. متمتعـا بكل خبرات ومنجزات البشرية فى القرن العشرين ..

بفضل قيادة الزعيم كيم ايل سونج وتوجيهاته .. يجد كل مواطن كورى فرصته فى التعليم من الحضانة الى الجامعة ، وفى الرعاية الصحية بالمجان ، وفى العمل المجزى المتحرر من شبح البطالة ، وفى الثقافة المتاحة بكل فروعها وفنونها وآدابها ، وفى المسكن المريح اللائق بكرامة البشر .. وفى المستقبل المضمون بلا خوف من شيخوخة أو عجز أو مرض .. فى مجتمع يكاد يكون خاليا تماما من الجريمة .. بل يكاد لا يعرف الرذيلة ..

فلماذا بعد كل هذا لا يحب النــاس ويبجلون الزعيم الذى حقق لهم كل هذا ؟..

فلنرجىء الحديث عن « الزعيم البطل ، الموقر المحبوب لدى ملايين الكوريين فى الشمال والجنوب » ، ولنعد معا الى لحظـة وصولنا الى مطار بيونج يانج ..

اخيرا ، هانحن نساق الى سيارة مرسيدس سوداء حــديثة الطراز ، وها هى السيارة تنطلق بنا مسرعة على طـــريق ناعم كالحرير .. لا يمتد منبسطا فى الوادى لحظة حتى يرتفــع بك بعد فترة صاعدا قمة خضراء ليعود فينزل بك من جديد ..

وعلى طول الطريق الذى يمتد ٤٠ كيلومتــرا من المطار الى العاصمة كانت مجموعات الأطفال العائدين من المدارس يقفون فى طوابير منتظمة كلما لمحوا السيارة السوداء مقبلة من بعيد ليرفعوا ايديهم بتحية السلام .. وهى تحية ينفرد بهـــا أطفـــال كوريا الديمقراطية دون أهل الأرض جميعا ، حيث يرفعوا اليد اليمنى بمحاذاة الأذن اليسرى فى حركة شبه عسكرية .. وعلمنا ان هذا التقليد فى تحية الكبار تعلموه بعد الثورة ، وقد ظل هذا «السلام» مصاحبا لنا فى كل غدواتنا وروحاتنا بجميع أنحاء كوريا حتى لحظة الرحيل .. وكثيرا ما كانت سيارتنا تمر وهى فى طريق منعزل بطفل وحيد فما ان يلمحها حتى ينتحى جانبـــا من الطريق ويقف الوقفة العسكرية المعهودة رافعا يده بنفس السلام ..

ويكون الانطباع الثانى .. أن الطفل فى كوريا الديمقراطيـــة يشب منذ صغره متعودا على النظام .. والنظام يصبح مع الايام شيئا فى طبعه ، وليس مجرد طاعة لأوامر ، أو خوفا من عقاب .

ويرتفع بنا الطريق الى قمة رابية عالية .. تمتد من بعدها مدينة بيونج يانج تحت أبصارنا ..

* * *

أول انطباع يداهمك وأنت ترى بيونج يانج من هذا الارتفاع الذى يتيح لك رؤية جانب كبير منها انك انما ترى أمامك نموذجا مجسما أبدعه مهندس فنان لمدينة حديثة .. ممكن أن تتخيلها فى عالم الاحلام ولكن من المستحيل وجودها فى الواقع ...

فلقد اتيح لى خلال رحلاتى العديدة فى مشرق الارض ومغربها أن أشاهد معظم عواصم العالم .. وكثيرا ما تأملت مذهولا الاحياء الحديثة فى هذه العاصمة أو تلك مأخوذا بحسن التنسيق وروعة التكوينات .. ولكنى كنت دائما أصدم فى كل مدينة بأحيائها الشعبية القديمة التى يتناقض ضيق شوارعها وتهالك مبانيها وتعرج طرقاتها مع الصورة المشرقة التى تتالق بها الاحياء الحديثة ...

أما هنا فالوضع مختلف ... ان المدينة بأسرها جديدة تم تخطيطها وبدأ بناؤها منذ نحو عشرين عاما .. فجاءت تحفة هندسية نادرة بين عواصم العالمين .. الشوارع كلها فسيحة مستقيمة لا يقل عرض الواحد منها عن خمسين مترا وتتوسطها جزر خضراء تنبض فيها الزهور الحمراء والبيضاء .. والمبانى كلها زاهية الطلاء ، متماثلة الارتفاع والتصميم أو يكمل بعضها بعضا كأنها تكوينات فى لوحة فنان .. ولا يزيد ارتفاعها عن خمسة أو ستة طوابق . وبين كل فترة واخرى تطالع مبنى على مبنى على الطراز المعروف فى الشرق الاقصى ذى الاسقف

المنحدرة والنقوش الدائرية فتخاله معبدا ، ولكنك لا تلبث ان تكتشف انه مسرح او مطعم او متحف أو سينما .

وقد استطاع المهندسون الذين وضعوا تصـــميم المدينة أن يستفيدوا من توزيع المساحة بين الروابى والوديان ... وادخلوا هذا فى حسابهم وهم يخططون تفاصيلها .. هنا مبانى سكنية وهنا مدرسة وهنا مستشــفى الحى وهنا متحف وهنا تمثـال وهنا مسرح وهنا عمارة من الف مسكن وهنا حديقة تتناثر فيها أراجيح الاطفال ..

وصــــور الزعيم كيم ايل ســونج فى كل مكان تحيط بها الشعارات والاقتباسات التى تسطع بأنوار النيـون فى الليـــل فتضفى على المدينـــة طابع المرح .. دون ما حاجـة الى اعلانات الويسكى وشركات الطيران الامريكية ... ولا ينافس صورة كيم ايل سونج سوى صورة التشوليما ...

والتشوليما باللغة الكورية وفى التراث الشعبى الكورى هو جواد اسطورى مجنح ، ينطلق فوق السحاب بسرعة الف ميــل ... غير أن كلمة التشوليما لها اليوم فى حياة الشعب الكورى دور آخر تعدى مجال الاساطير الى الواقع ، ولعلنا نعـــود اليها فى موضع آخر من هذا الكتاب بشىء من التفصيل .

وتتلفت اعيننا « البصاصة » ذات اليمين وذات اليســار محاولة ان تكتشف وراء الاحياء الحديثة شيئا مثل مهمشـــة أو عشش الترجمان فى القاهرة ، أو ايست اند فى لندن ، أو هارلم فى نيويورك أو الحضرة فى الاسكندرية .. فلا أجـد ، واسأل مندهشا :

ـ كيف هذا ؟ الم تكن هناك مدينة اسمها بيونج يانج قبل عشرين عاما من اليوم ؟

ويأتينى الجواب :

ـ بل كانت هناك بيونج يانج .. وكانت مدينة عريقة شامخة تضم عدة ملايين من البشر . ولكن الغارات الامريكية أثناء الحرب دمرتها تماما عن آخرها .. حتى لم يبق منها سوى ثلاثة منازل احتفظنا بها على سبيل الذكرى .. او المقارنة ، ثم أقمنا مدينتنا من جديد .. وفقا لأحدث أساليب تخطيط المدن ، وبحيث لا تشكو الآن أو فى المستقبل من المشاكل المزمنة التى تضج منها العواصم القديمة مثل مشاكل الاسكان ، والمواصلات ، والمرور ، والتنسيق ... الخ .

ويسكت محدثى لحظة قبل أن يقول

ـ وبنفس الطريقة أعدنا بناء أكثر من ١٥٠ مدينة وثلاثة آلاف قرية دمرها الامريكيون عن آخرها اثناء الحرب .

* * *

وتمضى بنا السيارة تشق الشوارع الفسيحة ونحن بداخلها نتأمل معالم احدث عاصمة فى العالم . ونعلم فيما نعلم ان الحدائق تصل نسبتها الى ٤٠٪ من مساحة المدينة ، وأن عدد سكانها الآن يربو قليلا على المليون ...

اما أروع معالم العاصمة على الاطلاق فهو متحف الثورة الذى يحتل ربوة عالية فى أهم شوارع المدينة ، ويتصدره تمثال ضخم للزعيم كيم ايل سونج يبلغ ارتفاعه ٢٥ مترا ، ويحف به من الجانبين

لوحتان تمثلان كفاح الشعب الكورى ضد الاحتلال اليابانى ثم ضد العدوان الامريكي ومن أجل بناء وطن حر جديد . وتضم اللوحتان نحو ثلاثمائة تمثال من البرنز بثلاثة اضعاف الحجم الطبيعى .

وقال لى أحد الاصدقاء أن المثالين الذين أبدعوا هذا العمل الرائع حرصوا على أن يضعوا على الوجوه ملامح العـديد من شهداء وشهيدات الكفاح الثورى .

والتحفة كلها ، التحف والتمثال واللوحتان الهائلتان أقيمت بالعمل التطوعى الذى اشترك فيه الالاف من أبناء الشعب كى تقدم هدية الى الزعيم كيم ايل سونج بمناسبة بلوغه سن الستين فى ابريل عام ١٩٧٢ .

وحكى لنا صديق كورى أن الزميل عبد الحميد عبد النبى رئيس القسم الخارجى بجريدة الجمهورية ساهم لمدة ساعة أو اكثر فى حفر اساس المتحف العظيم ، ونقلوا عنه قولا مأثورا مازال يردده الكوريون بكل اعتزاز ، الا وهو أن كل ضربة بفأسه هنا انما هى لطمة على رأس الامبريالية والاستعمار .

أما المتحف فهو عبارة عن صرح هائل الضخامة مكسو بالرخام من الداخل والخارج يغطى مساحة قدرها ١٠ آلاف متر ، ويضم ٩٥ قاعة مقسمة الى أربع مجموعات ، تغطى كل منها مرحـــلة من مراحل كفاح الشعب الكورى من أجل الحرية والتقدم .

ثم هناك قصر التلاميذ والأطفـــال ، الذى تبلغ مســاحته والحدائق الملحقة به ١١٠ ألف متر مربع . ويضم ٥٠٠ حجـرة لاجراء التجارب والتدريبات العملية ، ومكتبة تحتوى على مائة الف مجلد ، ومسرح يتسع لعشرة الاف متفرج ، واستاد رياضى

كامل ، وكل ما يتصوره العقل البشرى من الوسـائل التعليمية التى توفر المعرفة باحدث المنجزات التكنولوجية • ابتداء من تعـلم الطيران الى فك وتركيب أعقد الالات والاجهزة ...

فهنا ــ مثلا ــ نجد حجرة « الهيدروليكا » وفيها نموذج كامل لمحطة مياه هيدروليكية يتعلم الاطفال عليها كيف تعمل .. وكيف تتحول المياه الساقطة من أعلا الى طاقة كهربائية تدير المصـانع وتنير البيوت ...

وهنا غرفة الطيران .. بها طائرة حقيقية وعشرات النماذج الصغيرة .. وفيها يتعلم الاطفال قيادة الطائرات وتركيب الموتور والفارق بين الطائرة النفاثة وغير النفاثة ... ووظيفة كل جزء دقيق من آلاتها وأجزائها ..

وهنا عنبر الخراطة وفيه عشرات من المخارط ، شهدنا الاطفال الصغار وهم يعملون عليها ويتحكمـون فى ادارتهـا .. كأنهم اسطوات كبار ..

وهكذا .. فى كل فرع من فروع الصناعة الثقيلة والخفيفة نجد الاطفال الصغار يتدربون منذ نعومة أظفارهم ، وتصل الى عقولهم آخر منجزات التكنولوجيا ..

ولعلنى تذكرت وأنا فى عنبر الطيران حديثا قرأته فى احدى المجلات الامريكية تصف فيه كيف كان الذعر يتملك قادة قاذفات القنابل المغيرة فوق كوريا اثناء الحرب عندما يجدون أنفسهم فى مواجهة الطيارين الكوريين •

وأتلفت حولى .. متأملا الانسان الكورى الذى يصنع هذا كله ..

انه انسان بسيط التكوين . فمعظم الكوريين صغار الاجسام..
نادرا ما تجد بينهم رجلا بدينا .. ولباسهم عملى وبسيط ..
ولكن قمصانهم البيضاء دائما ناصعة البياض ونظيفة .. والفتيات
نادرا ما يستعملن أدوات الزينة أو الاكسسوار ..

وقد كان هذا بالذات محل مناقشة سريعة بينى وبين مرافقتنا
أثناء زيارتنا لموقع بأن مون جوم حيث كان يلتقى الطرفان الكوريان
تحت راية الصليب الاحمر قبل نقل مكان الاجتماع الى العاصمتين
بالتناوب .

لاحظنا يومها أن وفد كوريا الجنوبية كان يضم سيدة على
جانب كبير من الاناقة المفرطة .. ملمعة الى آخر حدود التلميع ،
فى أصابعها ثلاثة خواتم سوليتير لا يقل ثمنها عن بضعة آلاف ،
وتتدلى على صدرها الزجراج قلادة يخطف بريقها النظر ..
باختصار كل ما فيها يقول انها من ذلك الطراز من السيدات اللاتى
عرفناهن هنا فى مصر قبل الثورة ، من سليلات الاسر الاقطاعية
او أميرات البيت المالك ، واللاتى كن يتخذن من العمل أو الانتساب
« للهلال الاحمر » فرصة لتضييع الوقت والتعرف على الرجال
والظهور على صفحات المجلات والجرائد ...

وكان مع وفد كوريا الجنوبية ايضا فتاتان على جانب كبير من
الاناقة الامريكية المفرطة ترتديان الميكروجيب وتختالان بين أعضاء
الوفد مثل فراشتين ذهبيتين ..

وسألت مرافقتى وأنا اشير الى زيها البسيط الذى ترتديه ..
وزراعيها الخاليتين من اى أسورة ..

ـ الا تتمنين أن تكوني على مثل هذا المستوى من الاناقة ؟

أجابت الفتـــاة بسرعة وبلهجة أحسســـت فيها بحرارة الصدق :

ـ أبدا بالمرة .. فأنا أعرف جيدا أن عددا قليـــلا جدا من الفتيات في كوريا الجنوبية يتاح لهن مثل هذه الاناقة ، بينمـا الغالبية العظمى يتضورون جوعا وعريا في الطرقات ..

وسكتت لحظة قبل ان تستطرد

ـ ثم أن هذه الملابس في الغالب هدايا من جنود الاحتلال في مقابل شيء لعلك تعرفه • وعلى أية حال ، عندما تتم الوحدة ، سيصبح لدى كل كورية افخم من كل هذا وأكثر أناقة .

وهزت رأسها بثقة واعتداد وهي تضيف

ـ عندما تتم الوحدة ، سيعيش الاربعون او الخمسون مليون كوري وكورية الحياة اللائقة بانسان القرن العشرين ، وسـيكون من حقنا ـ كلنا ـ حينذاك ان نستمتع ما شئنا بثمار العمل الذي تصنعه أيدينا ..

عندما تتم الوحدة ...

اينما توجهت تجد شعارات الوحدة تصـــافح عينيك وتملأ اذنيك ...

فتجاوز أهداف خطة التنمية وزيادة الانتاج تختصر الطريق الى الوحدة ...

والانضباط فى الجيش والتمكن من الاسلحة الحديثة وحفظ القدرة الدفاعية للبلاد على اعلا مستوى .. ضرورى من أجل انجاز الوحدة ..

والتفوق فى الدراسة وتبسيط العمل فى المصانع وابتكار وسائل جديدة لزيادة محصول الارز .. كل ذلك يسهل ويقرب يوم الوحدة ..

حتى الانتصار فى مباراة كرة قدم ضد فريق اجنبى نجد اللاعبين يستميتون فى سبيله ايمانا منهم بأنه خطوة فى طريق الوحدة ..

فوحدة الوطن الكورى أمل عزيز لدى كل فرد يعيش فى كوريا الديمقراطية ..

ولقد تصادف أن كنت هناك عندما اذيع اول بيان مشترك بين ممثلى شطرى البلاد يقول باتفاقهم على البدء فى المحادثات من أجل اعادة توحيد البلاد وفقا للمبادىء الثلاثة التى طرحها الرئيس كيم ايل سونج من أجل توحيد كوريا بالطرق السلمية .

وفى اليوم التالى مباشرة شهدت كوريا الديمقراطية موجة هائلة من نشاط الشباب الذين تطوعوا بالالاف من أجل تعبئة وتوسيع الطرق التى تصل الشمال والجنوب ..

وقال لى محدثى .. وأنا أبدى دهشتى لهذا الحماس البالغ الذى يعمل به الشباب المتطوعون فى اعداد واحد من هذه الطرق .

ـ كان المقرر أن يعد هذا الطريق فى عشرة شهور .. ولكنه ـ بهذه الهمة ـ سينتهى فى شهر واحد ..

* * *

والتفت حولى أيضا محاولا أن أتعرف على العلاقات بين الجنسين .. فقد استلفت نظرى أنك لا تستطيع أن تشاهد مظاهر الحب العلنى التى نعرفها ، أو حتى بالتلميح المستتر البعيد لا فى الطريق ولا فى المسرح ولا فى السينما ولا حتى فى القصص الشعبى ..

ولم نشهد ولو مرة واحدة على سبيل الاستثناء شابا وفتاة ، حبيبين أو خطيبين أو حتى زوجين يتأبطان الذراعين ويتمشيان معا ذات يوم من أيام الاحاد او غير الاحاد في بعض الحدائق او على كورنيش النهر ...

حتى فى المصايف .. على شاطىء المحيط الهادى ، حيث ترفع الكلفة ويستبيح الناس وخاصة الشباب لأنفسهم كثيرا من علنية الحب والغرام .. أقلية من الفتيات يمارسن السباحة وسط الفتيان والأكثرية يخترن لانفسهن مكانا آخر .. ولا محل للغزل .. حتى للغزل البرىء ..

بل أن أفلام السينما التى شاهدتها ، وأشهد انها على مستوى طيب جدا من حيث حبكة القصة وحرفية السينما ولغة الكامرا وبراعة الاخراج والتصوير .. لم أجد من بينها قصة حب تنتهى عادة بالزواج .. وانما كلها قصص ثورية نضالية ، والحب فيها حب الأم لابنتها أو الرجل لصديقه ورفيقه فى السلاح أو الاخت الصغيرة لشقيقها المقاتل فى صفوف الثوار ، أو حب الشعب كله للوطن والزعيم ...

حتى القبلة ، وكنت أظنها ظاهرة عالمية .. اكتشفت ان لا وجود لها لدى الكوريين ...

حدث مرة أثناء مشاهدتى لاحد الافلام ان تنبأت بصوت عال ان البطلة ستقبل أمها وهى على فراش الموت قبل أن تهرب من المدينة ...

ولكن مرافقتى سألتنى بدهشة :

ــ ماذا تعنى بكلمة تقبل ؟

وكنا نتحدث بالانجليزية ، ومرافقتى حاصلة على شهادة عالية ، ومتخصصة فى الترجمة من الانجليزية واليها .

ومع ذلك فقد بذلت جهدا غير قليل لأفسر لها معنى كلمة قبلة ، حتى اذا ما فهمت أخيرا قالت ببساطة :

ــ ليس لدينا شىء كهذا فى كوريا .. نحن لا نعرف القبلات !

قلت لها :

ــ يخيل الى انكم لا تعرفون الحب أيضا ؟

قالت بنفس اللهجة البسيطة :

ــ بل نعرفه ، ولكن على مستوى ارقى ، فلدينا حب الوطن ، حب الشعب كله .. حب الاجيال القادمة .. وحب الزعيم الذى وهبنا بحكمته وبطولته وكفاحه هذا كله ...

وسكت لحظة قبل ان تضيف :

ــ وبعد ان تتحقق الوحدة .. سيكون لدينا وقت لذلك الحب الصغير الذى تقصده !

* * *

الفصــل الثانى

فى يناير ١٩٦٨ تسللت الى داخل الميــاه الاقليمية لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية سفينة التجسس الامريكية بويبلو ، فتصدت لها زوارق الطوربيد الكورية ، وأسرتها ، وقبضت على رجالها متلبسين بالعدوان .

وما أن طار النبأ الى سائر اركان الارض حتى امسك الجميع بأنفاسهم فى انتظار ما يمكن أن يســفر عنــه هذا الحدث الخطير ...

كان العالم قد اعتاد من قبل ان تجـوب ســفن التجسس الامريكية فى جميع البحار ، تجمع المعلومات ، وتشترك فى تدبير المؤامرات ، وتزيف الاخبار لتنقلها الاذاعات .. ولكن أحدا لم يكن يتعرض لها ، اللهم الا بصيحات الاحتجاج التى لا تغنى ولا تخدش جرحا فى أصابع المعتدين .

ولعلنا هنا فى مصر ، عرفنا بعض هذه السفن وعانينــا من جرائمها ، ولا أظن أن اسم السفينة ليبرتى ، والدور الذى قامت به فى العدوان على بلادنا عام١٩٦٧ ببعيد عن الأذهان .

وبويبلو .. كانت نسخة طبق الاصل من ليبرتى .

كانت هذه أول مرة يشهد فيها العالم دولة صغيرة فتيــة توجه صفعة مهينة على قفا اقــوى واعتى دولة فى العــالم الرأسمالى .. وتكون المبادرة بيدها ... وللصفعة دوى أيقظ العالمين .

والتفتت كل الانظار الى واشنطن منتظرة رد الفعل ، ولعل البعض كانوا مشفقين على كوريا الشابة من بطش الفول الامريكى ..

ولكن الفول الامريكى اثبت انه ككل الفيلان ، ليس سوى خرافة . فمع ان واشنطن ارعدت وأبرقت فى البداية مهددة بالويل والثبور وعظائم الامور الى درجة ان بعض الاصوات ارتفعت فى الكونجرس تهدد بضرب جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بالقنابل النووية ما لم تفرج فى الحال عن السفينة بويبلو وتعيد بحارتها معززين مكرمين .. الا ان زئير النمر المخيف لم يلبث ان تحول الى مواء قط هزيل .. واذا بالنمر نفسه ينكشف أمام العالم كله كيانا غير مخيف .. ذلك لان جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية واجهت التهديد الامريكى بثبات ورباطة جاش منقطعة النظير ...

وكان الرد فى بيونج يانج أن حكومة الشعب ليست على استعداد بالمرة للتسامح مع أية قوة تخرق حرمة اراضيها او أجوائها أو مياهها .. وانه اذا ارادت الولايات المتحدة الامريكية أن تلجأ للسلاح ، فان الشعب الكورى الذى اذاقها طعم الهزيمة من قبل مستعد تماما لاعطائها درسا ثانيا وثالثا اذا لزم الامر ...

واعلنت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية أنها لن تعيد السفينة بأية حال من الاحوال ، أما بحارتها وقبطانها فسيقدمون للمحاكمة بتهمة التجسس جزاء وفاقا على ما قدمت ايديهم ؛ ولاجترائهم على انتهاك حرمة المياة الاقليمية للبلاد ، وحتى يكون فى مصيرهم درس لكل الذين يرتكبون الجرائم ارضاء للمخابرات الامريكية ورضوخا لأوامرها ..

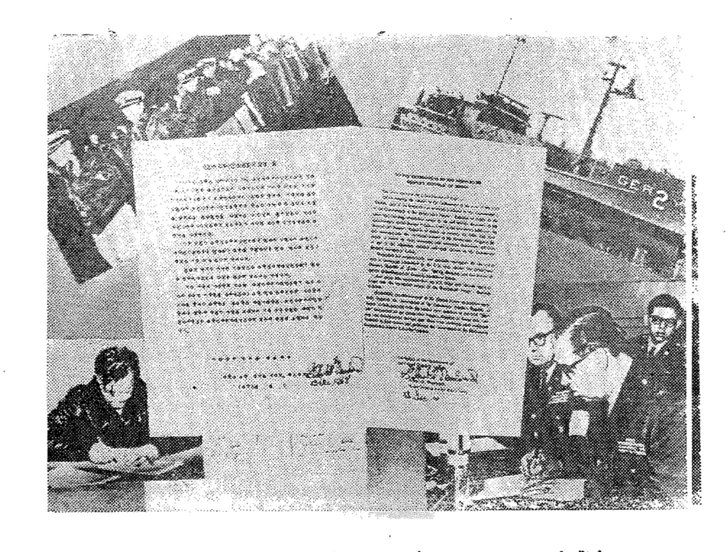
ومرة أخرى حاولت واشنطن اتقاء عار المذلة ، فلجأت الى الاتحاد السوفيتى تلتمس منه التدخل لدى اصدقائه الكوريين ، زاعمة ان السفينة انما اقتربت من الشواطىء الكورية بطريق الخطأ ، وربما لخلل فى أجهزتها جعلها تضل الطريق .. ولكن الاتحاد السوفيتى رفض أن يتوسط ، وكان رد موسكو واضحا وصريحا ، انها لا تستطيع أن تخاطب الاشقاء الكوريين فى أمر هو من صميم شئونهم الداخلية ...

وعادت الولايات المتحدة تحاول انقاذ ما يمكن انقاذه من ماء وجهها .. فعرضت ان تعتذر رسميا ، ولكن كوريا تمسكت بشروطها كاملة .. وهى أن تعترف حكومة الولايات المتحدة الامريكية بأن سفينتها انتهكت المياه الاقليمية فى عمل لا يتفق مع القانون الدولى ، وانها تلتمس من حكومة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية العفو عن بحارتها ، متعهدة فى نفس الوقت الا تعود الى مثل هذه الاعمال الاجرامية ...

وشربت واشنطن كأس الهوان حتى الثمالة ، واضطرت فى النهاية الى الرضوخ لكل الشروط الكورية كاملة بغير نقصان . وبعد عام أو بعض عام ، عاد البحارة الامريكيون الى بلادهم مجللين بعار الهزيمة ، وبعد ان كتبوا بخط ايديهم اعترافات مفصلة عن اعمال التجسس التى كلفوا بها ضد جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وادانوا بانفسهم أساليب حكومتهم الاجرامية ...

أما السفينة بويبلو .. فقد ضمت الى ممتلكات الشعب الكورى ...

وهكذا انتهت معركة من امجد معارك المواجهة المباشرة بين



سفينة التجسس بويبلو وقبطانها وبحارتها يوقعون وثيقة الاعتراف بانتهاكهم
المياه الاقليمية الكورية بغرض التجسس واستراق السمع .

الشعوب وقلعة الامبريالية العالمية ·· الولايات المتحدة الامريكيـة بكل هولها وهيلمانها ·

ولكن حادثة بويبلو لم تكن أول محاولة أمريكية للعدوان على كوريا ·· بل الواقع أن تربص الوحش الامريكى الشره بكوريا يرجع تاريخه الى اكثر من مائة عام ·· لعل من عجائب المصادفات انه بدأ أيضا بحادث سفينة ··

كان ذلك عام ١٨٦٦ ، حينما تسللت سفينة حـربية أمريكية اسـمها « الجنرال شـيرمان » مستترة فى زى مركب تجارى ، وتوغلت داخل مياه نهر تايدونج حتى وصـلت الى القرب من العاصمة الحالية بيونج يانج ·

وهناك نزل البحارة الى الشاطىء فى جنح الليل يغيرون على الاهالى المسالمين ، ويسلبون ممتلكاتهم ويغتصبون نسـاءهم ، قتلوا من المدنيين العزل عددا غير قليل ·

ولمـا أصبح الصـباح ، أعلنوا أنهم لن ينسحبوا الا اذا دفع لهم أهل الناحية مقادير معينة من الذهب والفضة ، فضـلا عن الف « سوك » من الارز ·

وكان رد الاهالى على هذه القحة البالغة ان هبوا بالفئوس والمناجل هبة رجل واحد فابادوا حملة السفينة جنرال شيرمان عن اخرها ، وأحرقوا السـفينة ، كعقـاب مشروع للامبريالية الأمريكية على عدوانها ، وقحتها ·

وهنا وجد حكام واشنطن حجة وجيهة يبررون بها عدوانا على نطاق واسع ضد شبه الجزيرة الكورية ·· وهو عدوان تؤكد وثائق الحكومة الامريكية انه كان مخططا ومدبرا قبل وصـول

« الجنرال شيرمان » الى شواطىء كوريا بأكثر من عشرين عاما ..
ومن أهم هذه الوثائق تقرير كتبه وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية خلال اربعينات القرن الماضى وكان اسمه ويليام سيوارد يقول فيه بالنص « اننا فى حاجة ماسة الى نقطة ارتكاز أو شىء مثل مستعمرة على أرض القارة الاسيوية » ..

وفى تقرير مقدم للكونجرس الامريكى فى نفس الفتـــرة نجده يتحدث عن « الموقع الاســتراتيجى المتـــاز » والثروات الطبيعية الوفيرة لكوريا ، كما نجد ايضا تفاصيل خطة « لفتح كوريا للتعامل مع الخارج » أو بمعنى اصح للاستيلاء على كوريا لكى تكون جسرا لغزو القارة الاسيوية بأسرها .

كذلك نجد تقريرا اخر للوزير الامريكى المفوض لدى بلاط قيصر روسيا وكان أسمه كلاى يطلب فيه صراحة احتلال كوريا « التى لا تقل اهميتها عن جبل طارق » .

وهكذا ، كان حادث « الجنرال شيرمان » ذريعة للولايــات المتحدة كى تنفذ مخططاتها على نطاق واسع . وفى يناير ١٨٦٧ أرسلت المدمرة واتشــوسيت الى شــواطىء كوريا ثم اتبعتهـــا بالبارجة شيناندور فى ربيع ١٨٦٨ ، ثم المركب البحرية «الصين» فى نفس العام ، بغية تهديد الشعب الـكورى ، وتغلغل رجــال المركب الاخيرة بالذات حتى مقاطعة دوكسان ، بأقليم تشونجشونج بهدف ارهاب السادة الاقطاعيين وارغامهم على توقيع اتفاقية استسلام ..

ولعل الاقطاعيين ، كأمثالهم فى كل مكان ، لم يكن لديهم مانع من توقيع مثل هذه الاتفاقية . ولكن الشعب .. الفلاحين الكوريين

البسطاء .. تصدوا لهذه المحاولات بالقوة ، وعـادت سـفن العدوان فى المرات الثلاث تجر ثياب الفشل والهزيمة ..

غير أن الولايات المتحدة فيما يبـدو كانت مصـممة على الاستمرار فى خطتها ، فبعد فشل حملة الطراد « الصين » بنحو ثلاث سنوات ، وبالذات فى مايو عام ١٨٧١ ، وبناء على تعليمات مباشرة من وزارة الخارجية الامريكية شنت الولايات المتحـدة غزوا مسلحا قوامه خمس سفن حربية بقيادة الجنرال رودجرز قائد الاسطول الاسيوى والمدعو مستر لو الوزير الامريكى المفوض لدى الصين ، وكان الهدف من الغزو كما اعلن حينذاك صراحة هو « اخضـاع » الحكومة الكورية وارغامها على الاستجابة لمطـالب واشنطن ..

وتمكنت القوات الإمريكية بالفعل من التوغل حتى جـزيرة كانهوا وهى مفتاح الطريق الى سيول ، ولكن مرة أخرى يهب الفلاحون الكوريون البسطاء ليدافعوا عن أراضيهم ، ولينـزلوا بالمعتدين الامريكيين هزيمة لم تجعلهم يولون الادبار فحسب ، وانما جعلت مخططى العدوان فى واشنطن ، يعيدون النظر فى حساباتهم ويصرفون النظر ـ ولو مؤقتا ـ عن محـاولة الغـزو المباشر لكوريا ..

نقول .. صرف الامريكيون النظر عن محاولة الغزو «المباشر» لكوريا .. ولكنهم لم يصرفوا النظر عن أحلامهم فى التهام شـبه الجزيرة .. ولذلك لجأوا الى اسلوب اخر ، ذلك هو استخدام اليابان كعنصر مساعد ، أو كعامل وسيط ، أو بمعنى أصح .. استخدام الامبريالية اليابانية الصاعدة حينذاك كسـتار تختفى وتعمل من ورائه الامبريالية الامريكية .

الغـــزو اليـــابانى

مثلما فعلت الولايات المتحدة وهى تدبر حجة تبرر بها غزو كوريا ، لجأت اليابان الى نفس الوسيلة .. فأرسلت عام ١٨٧٥ سفينة تدعى « أنيانهو » لتتسلل الى المياه الاقليمية الكورية فلما قوبلت السفينة المعتدية بما تستحقه من مقـــاومة من جانب الشعب ، تمكنت الحكومة اليابانية من أرغام الحكام الاقطاعيين فى كوريا تحت التهديد والوعيد على توقيع اتفاقية « كانجوادو » التى كانت تعنى اخضاع الشعب الكورى للتبعيـــة ، والعبودية المشتركة للاقطاع الكورى والعسكرية اليابانية . وبعد ذلك بسبع سنوات ، وفى ظل اتفاقية « كانجوادو » جاء الامريكيون مـرة اخرى على متن سفينة حربية وابرموا مع نفس الحكام الكوريين اتفاقية « صداقة وتجارة » تضمنت العديد من البنود الجائرة التى تحقق للولايات المتحدة استنزافا متصلا لثروة وجهد الشعب الكورى ، ويتعهد فيها الحكام الاقطاعيون بحماية السفن الأمريكية، وتتضمن تخفيض الرسوم الجمركية على السلع الامريكية فضلا عن شروط عديدة تنص على منح الامريكيين امتيـــازات قضـــائية وتعطيهم وضعا متميزا فى كوريا ..

وعقب توقيع الاتفاقية تدفق على « سيول » عدد كبير من رسل الاستعمار الامريكى مستترين فى ملابس التجار والاطبـــاء والمبشرين ، ويتقدمهم وزير مفوض اصبح بفضل خنوع الحـكام الاقطاعيين وتفريطهم فى حقوق البلاد صاحب اقوى نفوذ فى البلاد .

وعاشت كوريا فترة من أكثر الفترات فى تاريخها ظلاما ، حيث تحالفت الامبريالية الامريكية الزاحفـة مع الدوائر العســـكرية

اليابانية ذات النفوذ ، تكونت شركات مشتركة هدفها نهب ثروة الشعب الكورى واستنزافه وتحولت اهم مناجم البلاد مثل مناجم وونسان ، وتشانج سون وسوان ، وهولدنج وغيرها من مناجم الذهب والفضة والحديد وما أشبه الى أيدى المستعمرين الامريكيين واليابانيين ، كما أصبح لهؤلاء السيطرة على العديد من الصناعات الاخرى ، مما اتاح لهم استنزاف مكاسب طائلة نتيجة انخفاض مستوى الاجور الى أقل من حد الكفاف ..

وكعادة المستعمرين فى كل مكان ، سخر هؤلاء فى كوريا البعثات التبشيرية لخدمة مصالحهم واقامة بنيان فكرى وعقائدى يزين صورة امريكا وفى نفس الوقت يخلق لها قاعدة واسعة من الاتباع والعملاء ..

وكان من أهم « واجبات » تلك البعثات التبشيرية زعزعة التراث الحضارى والثقافى والدينى للشعب الكورى ، ومن اجل ذلك ، وصل عدد المبشرين الامريكيين فى مطلع هذا القرن داخل كوريا وحدها الى أكثر من ثلث كل المبشرين الامريكيين العاملين بالخارج .

وما أكثر الفظائع التى يذكرها الشعب الكورى، ويحتفظ بوثائقها فى متاحفه عن هذه الفترة السوداء من التغلغل الامريكى اليابانى المشترك !!

حدث مثلا فى مدينة سونان بأقليم بيونجان الجنوبى عام ١٩٢٥ ، ان أمسك الامريكى « بتيمورس » بصبى مسكين لا يتجاوز الثانية عشر من عمره ، اذ شاهده يلتقط من خارج سور حديقة منزله تفاحة سقطت من شجرة بداخلها ، فأطلق خلفه كلابه الشرسة التى انقضت على الغلام وأوقعته على الارض ، حتى جاء

السيد المبشربنفسه ، وبردائه الكهنوتى امسك به ، وربطه على جزع شجرة ، وبعد أن أوسعه ضربا وتعذيبا ، ختم عقابه الشنيع بأن نقش بحامض الايدروكلوريك المركز كلمة « حرامى » على جبهة لصبى الصغير ..

وهكذا واصل الامريكيون نهبهم للشعب الكورى وامتهانهم لكرامته فى ظل الاحتلال اليابانى وفى تعاون وثيق معه .

وكانت خطة واشنطن حينذاك كما عبرت وثائق وزارة خارجيتها هى دفع اليابان وتشجيعها على التوسع فى الشمال فى اتجاه كوريا ومنشوريا وروسيا ، حتى يخلو الجو فى الجنوب للامريكيين بلا منافسة ، ومن اجل ذلك ، ايدت الولايات المتحدة اليابان فى حربها الاولى ضد الصين عام ١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ ، وايدتها فى سعيها لالتهام كوريا ، ثم أصبح هذا التأييد اكثر صراحة وأعلا صوتا اثناء الحرب اليابانية ـ الروسية عام ١٩٠٥ .

ففى بداية هذه الحرب ، صرح الرئيس الامريكى حينذاك « تيودور روزفلت » بقوله : سوف يسعدنى جدا أن تنتصر اليابان، لانها فى الواقع تحارب لصالحنا .

وفى يونيو ١٩٠٥ ، عندما قدمت اليابان مشروعا لاتفاقية سلام مع روسيا طالبة من واشنطن ان تقوم فيه بدور الوسيط ، أبلغ روزفلت رسميا وزير حربيته « تافت » أنه متفق تماما مع وجهة نظر اليابان فيما يتصل بضرورة ان تتضمن الاتفاقية الاعتراف بتبعية كوريا لليابان ..

وبعد ذلك بشهر واحد ، وقع « تافت » مع رئيس الوزراء اليابانى « كاتسورا » معاهدة سرية بمقتضاها تعلن واشنطن

موافقتها على احتلال اليابان لكوريا ، وتتعهد فيها اليابان ألا تمس المصالح الاقتصادية الامريكية فى كوريا ، والا تحاول الاعتداء على الفيلبين ، مستعمرة الولايات المتحـــدة فى الطرف الاقصى من جنوب شرقى اسيا .

وفى نفس الوقت ، وتحت حماية الولايات المتحدة وتشجيعها ، وقع العسكريون اليابانيون مع الحـــكام الاقطاعيين فى كوريا اتفاقية استسلام أصبحت كوريا بمقتضاها محميـــة يابانية ، محرومة من الاستقلال ، محرومة حتى من حق التمثيل الدبلوماسى مع الخارج ، وفى عام ١٩٠٧ سلمت الادارة المدنية الى اليابان . وفى ١٩١٠ أعلنت اليابان رسميا ضم كوريا الى ممتلكاتها وبارك روزفلت هذا الاعلان بتصريح قال فيه « ليس هناك من يعترض على ضم كوريا » .

غير أنه اذا كان حكام كوريا الاقطـاعيون قد انهـاروا أمام الغزو اليابانى وقبلوا أن يقوموا بدور لاعقى الأحذية فى مقـــابل احتفاظهم بمعظم امتيازاتهم الطبقية ، فان الشعب الكورى لم يلبث ان ضم صفوفه وهب فى انتفاضه عارمة عام ١٩١٩ كى يزيح عن اكتافه النير الاستعمارى الثقيل ، ولكن العســـكرية اليابانية واجهت الانتفاضة بضراوة منقطعة النظر ، واعملت يد القتل والتعذيب والتنكيل ضد الوطنيين بصورة اهتز لها ضمير العالم ، بيد أن الولايات المتحدة انبرت لتدافع عن اليابان ، واذاعت وزارة خارجيتها فى أول مارس ١٩١٩ بيانا جاء فيه :

« فيما يتصل بالمسألة الكورية ، تتخذ الولايات المتحدة نفس الموقف الذى تتخذه بريطانيا تجاه مستعمراتها ، فالمسألة الكورية

تعتبر مسالة داخلية بحتة تخص اليابان .. تماما مثلما تعتبر اى انتفاضة فى الفيلبين مسألة تخصنا » .

ثم تتطوع وزارة الخارجية الامريكية للدفاع عن الفظائع التى ارتكبتها السلطات اليابانية ضد الاهالى فيقول البيان :

« ان الانباء التى وردت عن قمع الحكومة اليابانية للانتفاضة كانت فى معظمها مفرضة .. وليس هناك ما يؤكد أن اليابان استخدمت اية اساليب بالغة القسوة ... »

وبالطبع .. لم يكن كل هذا التأييد بلا ثمن . وانما كان الثمن هو مزيد من الامتيازات لاستنزاف الثروة المعدنية الكورية والطبقة العاملة الكورية .

واستمر الحال على هذا النحو حتى ثلاثينات هذا القرن ، عندما أقدمت اليابان على محاولتها الجزئية للاستيلاء على الصين بأسرها ، مطمئنة الى تأييد الولايات المتحدة وتشجيعها ، ومتخذة من كوريا ركيزة أساسية لعدوانها ..

وفى تلك الايام ، كان الكفاح المسلح للشعب الكورى يتبلور على شكل حركة سياسية نضالية منظمة ، وكتائب ثورية مسلحة تخوض حرب العصابات بقيادة زعيم شاب بدأ اسمه يلمع بسرعة فى سماء الحركة الكورية ، وبدأ يلتف حوله كل المقاتلين الذين وهبوا حياتهم من أجل قضية شعبهم ...

وكان هذا الشاب هو الزعيم « كيم ايل سونج » .

وتحت زعم مطاردة كتائب الثوار الذين يتخذون قواعدهم فى منشوريا (شمال الصين) أقدمت اليابان على محاولة شاملة

لغزو الصين .. وتماما مثلما تفعل الولايات المتحدة الان وهى تبارك كل عدوان اسرائيلى ضد البلاد العربية وتزعم أنه مشروع طالما يستهدف القضاء على قواعد المقاومة ، فعلت وزارة الخارجية الامريكية حينذاك نفس الشيء ، وأذاعت بيانا تقول كلماته بالنص « ان مد اليابان الحرب الى القارة عمل يستحق الترحيب طالما هو يهدف الى تصفية القوى المسلحة الثورية للشعب الكورى النشطة فى منشوريا ، واعادة النظام الى الصين » .

وهرع وزير الحربية الامريكية حينذاك وكان اسمه « هيدى » الى طوكيو حيث أجرى محادثات ودية مع وزير الحربية اليابانى « جيرو مينامى » ، وأعلن فى اكتوبر ١٩٣١ أن حكومته تؤيد اليابان تماما فى موقفها ضد الاتحاد السوفيتى ، وكذلك ضد حركات التحرر الوطنى فى آسيا ، وأيضا فى حربها ضد الصين .

واسفرت المحادثات السرية التى أجراها السفير اليابانى « تيبوشى » مع وزير الخارجية الامريكى حينذاك « ستيمسون » عن اعلان الولايات المتحدة تأييدها لاحتلال اليابان لمنشوريا .

وتحت ستار الحياد ، وعدم التدخل ، أيدت الامبريالية الامريكية العدوان اليابانى بكافة اشكال التأييد والمساندة .. وأقامت السفن والمراكب التجارية الامريكية جسرا مستمرا يمد اليابان بالمواد الاستراتيجية التى تمكنها من مواصلة الحرب .. وفى هذا كتبت الواشنطن بوست فى ٢٣ فبراير ١٩٣٩ تقول « لو أوقفنا شحن الكميات غير المحدودة من الحديد والصلب الى اليابان لما كان فى استطاعتها ان تواصل معاركها الضارية فى الصين » .

وحتى ستيمسون نفسه ، صرح بعد ذلك بقوله انه « لولا الولايات المتحدة لكان العدوان اليابانى على الصين ضربا من الجنون ، ولكان قد احبط من أول لحظة . »

ولكن الوفاق بين الامبريالية الامريكية وشقيقتها اليابانية لم يكن من الممكن ان يستمر طويلا وكان لابد للتناقضات الطبيعية بين أى لصين أن تنمو وتتفاقم حتى تحين لحظة لا بد معها ان تنفجر .

ولقـد بدأ التفـاهم بين الامبرياليتين الامريكيـة واليابانية فى وقت كانت الاولى فيه عملاقا قويا ، وكانت الثانية مازالت فتية فى طريق النمو .. كانت أشبه بالعلاقة بين الوصى والصبى ..

ولكن الصبى أخذ ينمو بسرعة ، ويشب عن الطوق ، وتتسع اطماعه يوما بعد يوم .. ولم تكن الامبريالية اليابانية مستعدة لأن تقتنع بدور التابع أو الوسيط ، بل لم يعد يقنعها ان تتركها الولايات المتحدة تتطلع وتزحف نحو الشمال .. وانما اخذت فى ظل نمو النزعة العسكرية ، ومع انتصارات محور برلين ـ روما الفاشستى فى أوروبا ضـد الدول الامبرياليـة القديمة ، أخذت الامبرياليـة اليابانية الصاعدة تتحين الفرص لتضرب ضربتها ضـد الوصى الامريكى ... حتى تنفرد وحدها بالعمل فى آسيا شمالا وجنوبا

وفى عام ١٩٤١ ، وبينما المفاوضات الودية دائرة بين اليابان والولايات المتحدة من أجل اعادة تقسيم الغنائم بشكل أكثر ارضاء للامبريالية اليابانية ، انقض السلاح الجوى اليابانى بضربة مفاجئة على الاسطول الامريكى بالمحيط الهادى القابع فى قاعدة بيرل هاربر .. فاجهز عليه فى بضع دقائق ليخلو الجو امام القوات العسكرية اليابانية بعد ذلك على طول شواطىء وجـزر شرق

آسيا ·· وليكون ذلك ايذانا بامتدادالحرب العالمية الى الشرق الأقصى واعتبار الصراع الدائر هناك طرفا فيها ··

وهكذا ، بدأت الحرب بين امريكا واليابان ، ولكل من الطرفين حساباته واطماعه ، وتكتيكاته واستراتيجيته فيما يتصل بكوريا ·

ولكن الطرفين نسياً ، أو تناسيا العامل الوحيد الذى حسمت استراتيجيته نتيجة الحرب بالنسبة لكوريا .. ذلك هو حركة الكفاح الثورى للشعب الكورى ، التى كانت قد اثبتت وجودها ، وبدأت تتبلور كحركة مسلحة موحدة منذ أوائل الثلاثينات تحت قيادة المناضل العظيم « كيم ايل سونج »



الفصل الثالث

عندما تفتحت عينا « لى هان » للحياة .. وجد نفسه يعمل خادما فى قصر الثرى الكبير « يونج » ، اغنى رجل فى المدينة .

ولا يذكر « لى » متى جاء الى القصر ، أغلب الظن انه ولد فيه ، فقد كان والداه يعملان فيه من قبل سدادا لدين عليهم عجزا عن أدائه ، فلما توفى الأب ، ولحقته الام بعد قليل ، ظل « لى » يعمل فى القصر ليكمل سداد دين الأبوين .

وكان القصر يمثل هرما حقيقيا من الطبقات ، يستوى فوق قمته الاب يونج وزوجته .. وتحمل اثقاله كلها قاعدة من الخدم والحشم ـ . ولكن « لى » كان يمثل وحده طبقة بأكملها .. طبقة أدنى من سائر الخدم والحشم ، ربما بسبب سنه الصغير ، وربما لأنه اعتاد منذ المهد أن يؤمر من الجميع .. فلا يكون امامه الا أن يطيع .

وبالطبع كانت حيـــاة « لى » سلسلة لا آخر لها من العذاب .. ومع ذلك فقد كان له فى كل يوم بسمتان .. الاولى ، عندما يخرج فى الصباح ليأتى بالصحف لسيده ، وتصافح وجهه المتعب نسمات النهر الندية وهو يجرى على حافته فى طريقه ذاهبا وغاديا .

والاخرى قبيل الغروب ، وهو يصطحب الكلبين الاثيرين عند السيد فى نزهتهما بنفس المكان .. على ضفة النهر الطروب .

وذات يوم وقعت عين السيد عليه وهو يجرى عائدا بصحف الصباح ، فلفت نظره شىء خاص فى طريقته فى الجرى .. وعندما

رآه مرة أخرى فى المساء وهو يسابق الكلبين على ضـــفة النهر تأكد لديه انه أمام « خامة » نادرة تؤهل الولد ليكون « صـــبى سباق » مضمون الفوز فى أى رهان .

فى تلك الايام السوداء من تاريخ الشعب الكورى ، كان « سباق الصبيان » هواية محببة لدى الأثرياء بدلا من سبـــاق الخيل .. ومثلما يتباهى أصحاب الجياد بجيادهم .. كان هؤلاء الســـيادة يتباهون بصبيانهم الذين يربونهم ويراهنون عليهم ، وفى نفس الوقت يكسبون الجوائز لأنفسهم فى حالة الفوز .

وهكذا .. تبدلت حياة « لى » .. وارتفع الى طبقة المدللين ، الذين كان يحسدهم من كل قلبه ، وجاءوا له بمـــدرب خـــاص ليدربه على الجرى بشكل علمى ، ولسبـــب غير مفهوم توســـم المدرب فى صبيه شيئا آخر غير القدرة على العدو السريع ، فأخذ ينتهز فرصة ما بين أوقات التدريب العنيف ليعلم « لى » القراءة والكتابة .

وعندما أتم « لى » تدريبه ، اهداه السيد الى زوجته ليجـــرى باسمها فى السباق .

ولم يكد « لى » يبلغ العاشرة من عمره حتى كان أشهر صبى سباق فى المدينة .. ولكنه كان قد اكتسب عادة أخرى بفضـــل مدربه .. تلك هى عادة القراءة . ولم تعد تشبع هوايته الكتـــب الصغيرة التى يأتيه بها مدربه ، فأخذ يتسلل بين الحين والحين الى مكتبة سيده ليأخذ منها ما يقع فى يده ، ثم عرف الطريق الى مكتبة المدينة .. وبدأ يتعلم كيف يختار الكتب التى يقرؤها .

وشيئا فشيئا ، أخذ عقل « لى » يتفتح على العالم الواســـع الذى يحيط به .. وكانت تصل اليه بين الحين والحين انباء عن

جيش حرب العصابات ،وجمعية بعث الوطن ، وعن الكوريين الابطال الذين اقاموا فى اقصى الشمال قاعدة يشنون منها الغارات على العدو اليابانى ، ويقيمون فى داخلها مجتمعا عادلا ٠٠ ليس فيه سيد ولا مسود ، ولا يعامل فيه آدمى كأنه حصان سباق .

وفى الرابعة عشر من عمره ٠٠ تأكد لدى « لى » ان هذا العذاب الذى يعيشه ويعيشه معه كل ابناء وطنه ـ طبعا ما عدا « يونج » وأمثاله ـ يمكن أن يتغير .. أن ينتهى .. وأن وجود المستعمرين اليابانيين على أرض وطنه هو أصل البلاء ليس قضاء وقدرا لا سبيل الى رده ٠٠ وان انقسام المجتمع الى كثرة هائلة من الفقراء المعذبين فى الارض حياتهم كلها كدح وشقاء ، وحفنة قليلة جدا من الاغنياء حياتهم كلها عبث وفراغ ومجون على حساب هؤلاء الفقراء ، هذا الانقسام ليس حتما ابديا ، لا يملك « لى » امامه الا الاستسلام ، وانما هو وضع ظالم خاطىء لا يمكن أن تستقيم الحياة الا بالقضاء عليه .

وتعلق وجدان « لى » بالامل الذى زرعته فى نفسه كلمات الزعيم الشاب كيم أيل سونج .. ومنشورات جمعية بعث الوطن .

وذات يوم فى ربيع عام ١٩٣٦ ، وعلى نفس الطريق التى سار فيها الزعيم الشاب كيم ايل سونج قبل ذلك بعشر سنوات وكانت سنه أيضا حينذاك اربعة عشر عاما ، حمل لى هان متاعه القليل ، وعبر نهر آمنوك ليأخذ مكانه بعد اسابيع جنديا فى جيش حرب العصابات بقاعدة نامهودو .

ويدور الزمن دورته ، وبعد ٣٥ عاما يتاح لى انالتقى ولى هان فى دار اتحاد الصحفيين الكوريين لأجده يشغل الآن منصبا

قياديا فيه ، كما يتولى مسئولية قسم التعليقات السياسية فى واحدة من اكبر الصحف اليومية بالبلاد .

وكان لا بد لى ان ألم بهذا التاريخ السريع لقصة حياته لكى ادرك من اين أوتى كل ما يتميز به من صفات .. وبالذات الطهارة الثورية الى اقصى ما يمكن ان يتخيل المرء من نقاء .. ولكنى ادرك أيضا .. أن قوما من هذا الطراز لا يمكن ابدا أن يسمحوا بالتفريط فى الثورة ولو بمقدار حبة خردل .. ان قوما كهؤلاء لهم أنبياء وطنهم وقديسوه .

قلت فى مقدمة هذا الكتاب انى ذهبت الى كوريا محاولا ان اكتشف كيف استطاع هذا الشعب الصغير ان ينزل بالامبريالية الامريكية تلك الهزيمة القاسية ، ثم ينبرى لاعادة بناء وطنه فيحقق فى ميدان الاقتصاد والبناء الثقافى ما يشبه المعجزات .

ولعلنى بعد ان استمعت الى قصة « لى هان » استطيع القول ان مرحلة الكفاح ضد اليابانيين التى استمرت بلا انقطاع منذ عام ١٩٠٥ حتى ١٩٤٥ .. وبالذات فترة الكفاح المسلح المنظم تحت قيادة الزعيم كيم ايل سونج ، قد أثرت الشعب الكورى بعشرات الالوف من الكوادر الثورية الصلبة كأشد ما يكون الصلب، المسلحة بالوعى النظرى مثلما هى مسلحة بالتسامى والتضحية والاستعداد الفطرى للفداء .

هذه الكوادر .. والأجيال التى ربتها ، هى التى تقود اليوم الشعب الكورى من أنتصار الى انتصار .

والواقع ان نضال الشعب الكورى ضد الغزاة اليابانيين لم يتوقف لحظة واحدة منذ وضع هؤلاء اقدامهم فى البلاد .

وكانت خطة اليابانيين لا تقوم فقط على استنزاف ثـروات كوريا بالمشاركة مع رجـال الاعمـال الامريكيين ، ولكنهم وضعوا برنامجا واسعا شديد الخبث هدفه فى النهاية طمس الشخصية الكورية والغاء تاريخها واقناع الاجيـال الجديدة على الاقل بأن كوريا جور ملحقة باليابان وليس له - بل لم يكن له - أى وجود مستقل ، فالكوريون واليابانيون ابناء عم ، واللغة الكورية ليست سوى فرع أو لهجة خاصة من اللغة اليابانية .. وكوريـا كلهـا ليست سوى امتداد جغرافى لليابان .

واعاد اليابانيون تنظيم مناهج الدراسة وأساليب العمل الحكومى بحيث تهدف كلها الى تحقيق هذا الغرض .

وبالطبع ، وجدوا عونا لهم فى شخص كبار الاقطاعيين وأثرياء المدينة والقرية ممن تعميهم مصالحهم الخاصة فينسوا معها مصالح الوطن .

والى جوار ذلك اقاموا جهازا بوليسيا شديد الضراوة نشب وأخضعوا البلاد بأسرها للحكم العسكرى المبـاشر ، حيث كان الممثل العسكرى اليابانى فى أصغر الوحـدات الادارية لا يملك فقط حق الاعتقال ومصـادره الحريات والممتلكـات ، وانما كان ايضا يملك حق الاعدام ، واحراق المنازل ، بل القرى بأكملها .

ولكن المعدن الاصيل للشعب الكورى أثبت انه من الصـلابة بحيث لم تستطع كل هذه التدابير النيل من قدرته على الصمود .

وفى مواجهة الضراوة اليابانية انتشرت الجمعيات السرية من شتى الانواع والاتجاهات فى جميع انحـاء كوريـا سـاعية الى الحفاظ على الروح الوطنيـة والشخصية الـكورية ، وايقـاظ

الشعب انى المحاولة المحمومة للقضاء على شخصيته وتحويله نهائيا الى قطعان من العبيد والارقاء .

وانتشرت بفضل هذه الجمعيات الكتاتيب والمدارس الوطنية فى اعماق القرى ، كتيار وطنى مناهض لسياسة اليابان التى كانت تتمسك بابقاء الغالبية العظمى من ابناء الشعب فى حالة أمية كاملة ، بينما تقيم للقلة نظاما تعليميا مجونا هدفه اعداده كوادر العملاء ، وحشو عقول التلاميذ بفيض من المعلومات السطحية والكاذبة لاقناعهم فى النهاية بالخضوع والاستسلام لليابان .

ومن بين المنظمات والجمعيات التى قادت هذه الحركة ، برزت (جمعية الوطنيين الكوريين) التى تأسست فى مارس ١٩١٧ ، وسرعان ما أصبحت أكبر منظمة ثورية سرية مناهضة لليابان ، واتسع نشاطها فى داخل وخارج البلاد من أجل تعبئة جماهير الشعب وتنظيم صفوفهم ، وأيضا من أجل انشاء المدارس والكتاتيب لتربية الاجيال الجديدة بروح الثورة بعيدا عن النفوذ اليابانى .

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون مؤسس هذه الجمعية ذات الأثر العظيم فى تاريخ كوريا الحديث هو « كيم هيونج جيك » .. والد الزعيم الكورى الكبير كيم ايل سونج .

غير أن كيم هيونج جيك لم يلبث حتى قبض عليه بعد شهور قليلة من تأسيس الجمعية ، والقى به فى السجن فى خريف ١٩١٧ ليقضى به نحو عامين ، يتعرض خلالهما لشتى الوان التعذيب والتنكيل بوحشية لا مثيل لها ، ومعه نحو مائة شخص آخر من زملائه فى نفس الجمعية .

ويخرج كيم هيونج جيك من السجن وقد ازداد اصرارا على

مواصلة النضال ، فينقل مسرح عملياته الى الحدود الشمالية لكوريا ؛ حيث اقام تحت اسم-مستعار مستوصفا طبيا ، واخذ يتنقل بين مختلف القرى وتجمعات المهاجرين الكوريين ناشرا روح الثورة ، ومبشرا بيوم التحرير .

وفى عام ١٩١٩ ، هب الشعب الكورى فى انتفاضة عارمة مطالبا بحريته ؛ ولكنها كانت انتفاضة عزلاء فى وجه عدو مسلح حتى الاسنان ومستعد لارتكاب كل جريمة .

وكان انتقام اليابانيين رهيبا ؛ فقتلوا وسجنوا عشرات الالوف، واحكموا الخناق ضد الحريا تبشكل اكثر ضراوة .. ونكلوا بكل الجماعات والهيئات ذات الصبغة الوطنية حتى لم يعد فى كوريا دار الا واصابها شيء كثير من بطش الغزاة .. ومع ذلك فقد استمرت المقاومة ، ولكنها بدات تتخذ صورة أكثر اتفاقا مع ظروف القهر الجديدة .

فهى اولا يجب أن تكون مقاومة مسلحة .

وهى ثانيا يجب أن تكون أكثر التزاما بالسرية المطلقة .

كما اقتضى الامر ايضا أن تكون متعددة المراكز .

وهكذا دخلت الثورة الكورية مرحلة جديدة ، واذا كان لنا ان نقيم اليوم عمل حمعية المواطنين الكوريين فى سطور قليلة ، فانه يكفى ان نذكر لقائها وعلى رأسهم كيم هيونج جيك انهم كانوا الطلائع فى نبذ الاساليب الانهزامية البالية التى كان يحاول البعض عن طريقها تحقيق « الاستقلال » بواسطة تقديم عرائض الالتماس للمستعمرين اليابانيين ، كما ايقظوا الشعب الكورى الى خطورة الاتجاه اليمينى الذى كان يسعى الى الاستعانة

بالامبريالية الامريكية للخلاص من الامبريالية اليابانية حيث لم يكن يؤدى فى النهاية الا الى استبدال سيد مقيم بسيد آخر اكثر ضراوة وشراهة .

وكان لجمعية المواطنين الكوريين فضل الهاب حماس ابناء الشعب ، وجذب جماهير الفلاحين فى اقصى القرى الكورية الى صف الثورة .. وكان للتقاليد الثورية التى غرستها وطورتها اثر كبير فى تطور المراحل التالية لثورة الشعب الكورى .

وفى عام ١٩٢٦ توفى كيم هيونج جيك متأثرا بالامراض التى اصابته نتيجة التعذيب أثناء فترة السجن .. توفى وهو يواصل العمل فى تجنيد الفلاحين للثورة ، بعيدا فى الشمال .. غير أن البذرة التى غرسها ورفاقه كانت قد انبتت ، واخذت شجرة الثورة تنمو بسرعة ..

وقبل ان يتوفى كيم هيونج جيك بشهور كان والده الزعيم كيم ايل سونج قد لحق به .. ليساعده فى نشاطه الثورى ، وليتولى عنه فى فترة مرضه نقل رسائله السرية الى الرفاق والخلايا ، وليقوم بدلا منه فى بعض المواقع خطيبا شديد التأثير فى سامعيه ، ويتمتع بقدرة عجيبة على جذب الانتباه والاقناع بكلماته الملتهبة التى تقطر مرارة وسخطا على اعداء الشعب ، وتفيض بالحماس لليوم الذى يتحرر فيه الوطن الكورى من الاستعباد والقهر والشقاء .

* * *

فى متحف الثورة بمدينة بيونج يانج صورة زيتية رائعة الدلالة ، تبدو فيه والدة الزعيم كيم ايل سونج وهى تقدم الى ولدها الصبى مسدسين كانا لوالده ، بينما الصبى يحتضن

المسدسين باعتزاز ، وهو راكع على ركبتيه ، وعيناه تتطلعان الى المستقبل بكل ثقة وايمان ، وفيهما أيضا يبدو القسم الذى لا بد وانه تردد فى وجدان البطل الصغير ساعتها الا وهو أن يواصل السير على نفس الدرب الذى سقط ابوه دونه ، وأن يحقق الرسالة التى من أجلها ضحى وكابد حتى انتهت حياته .

واليوم بعد نحو ٤٦ سنة من ذلك التاريخ نستطيع ان نقول : ان كيم ايل سونج قد بر بقسمه .

والواقع ان هذه الصورة تعبر تعبيرا دقيقا عن نقطة تحول فى فى تاريخ الثورة .. حيث تسلم رايتها الزعيم كيم ايل سونج .

فنحن هنا لا نرى الفتى يضيع وقتا طويلا فى النحيب والبكاء فوق قبر أبيه ، فلم تمض أربعة شهور على وفاة كيم هيونج جيك فى ٥ يونيو ١٩٢٦ حتى كان الابن يؤسس جماعة ثورية جديدة تحت اسم « اتحاد اسقاط الامبريالية » .. ليضم فى صفوفه الطلاب والشباب والتقدميين ، وليتخذ لأول مرة فى تاريخ كوريا برنامجا علميا للنضال ، يتضمن الهدف الاستراتيجى ، وهو بناء مجتمع اشتراكى متطور على الارض الكورية ، كما ينص على الاهداف التكتيكية وخلاصتها دحر الامبريالية اليابانية وتحقيق استقلال كوريا وحريتها .

وفى شتاء العام التالى اسس الزعيم كيم ايل سونج منظمة اخرى هى « اتحاد فتيان ساينال » أى « اليوم الجديد » ونشر صحيفة « اليوم الجديد » لتكون لسان حال الاتحاد ، ورسوله الى جماهير الطلاب والشباب .

ومع انتقال الزعيم الشاب كيم ايل سونج الى مدرسة يوك

مون فى مدينة كيل ليم عام ١٩٢٧ ، انتقل معه نشاطه الثورى حيث تأسست هناك « عصبة الشباب المناهض للامبريالية » التى كانت امتدادا لجمعية اتحاد اسقاط الامبريالية ، كما كانت فى نفس الوقت تحضيرا تنظيميا لما أصبح فيما بعد « حزب العمل الكورى » .

وفى نفس الوقت ، كانت عشرات التنظيمات الاخرى تنشط سرا داخل الاراضى الكورية وخارجها ، وتعددت أعمال المقاومة المسلحة ، وكانت زاخرة بأروع امثلة البطولة والتضحية ، وسببت للحكام اليابانيين بالفعل ارقا شديدا ومتاعب لا آخر لها .. وجعلتهم يؤمنون ان ابتلاع وهضم كوريا ليس مسألة سهلة كما كان يخيل اليهم فى بداية الامر .

وامام ذلك ، أمعن الحكام اليابانيون فى التنكيل بسائر فئات الشعب لكورى ، وأصبح اعتقال الناس بالجملة لأتفه الأسباب عادة مرعية وعرفا معترفا به فى كل مكان ، كما لجأوا فى نفس الوقت الى انشاء عصابات خاصة من القتلة المحترفين لاغتيال العناصر الوطنية ، وارهاب سائر المواطنين .

وأمام هذا الهجوم العنيف من جانب المستعمرين نشطت المقاومة التلقائية المسلحة فى جميع ارجاء البلاد ، وتعددت المراكز الثورية ، ولكن كان واضحا منذ البداية انه كان هناك مركز واحد يتميز دون كل ما عداه بحسن التنظيم واكتمال الوعى وبراعة التكتيكات .. ذلك هو المركز الذى يتخذ قوعده فى شرق منشوريا ، حيث تتناثر مجموعة من القرى الكورية التى اصبحت منذ أوائل الثلاثينات بمثابة مناطق محررة تماما من النفوذ اليابانى، أو بمعنى أصح جزرا حرة وسط محيط من العبودية والاذلال .

وارتفع شعار « وحدة كل القوى المناهضة للامبريالية » ..
وكان من الطبيعي ان يكون المركز الكبير فى شرق منشوريا هو القبلة التى تتجه اليها انظار الجميع .. وحول جيش العصابات الذى انشأه الزعيم الشاب كيم ايل سونج فى تلك المنطقة أخذت تلتف جميع الفرق والفصائل الثورية الاخرى الراغبة فى حمل السلاح لانقاذ الوطن من القهر اليابانى .

ولم يكن فى هذا اية غرابة . فبينما كانت الفصائل الاخرى تفتقر الى كل شيء ما عدا العزم الثورى والحماس الفباض ، كان جيش حرب العصابات بقيادة الزعيم الشاب كيم ايل سونج جيشا حقيقيا منظما جيد التسليح ،على اقصى قدر من الوعى والانضباط، ويقيم من نفسه حارسا حقيقيا للقرى الكورية المحررة ، ويستطيع ان يدخل فى معارك واسعة مع العدو اليابانى الذى عبأ جيشا خاصا من نحو أربعين الف جندى بهدف القضاء على جذوة الثورة قبل أن تحتد وتشتعل واصطفى من بين هؤلاء قوة عقابية أو تأديبية قوامها خمسة الاف جندى ، كانوا ينقضون على القرى كالوباء فلا يبقى منها بعدهم أثر .

واخذ الشباب يتوافد على « سووا نجتشنج » لينتظم من فوره فى صفوف الجيش ، وفى نفس الوقت فى مدارس الكادر .

وكانت أهداف جيش العصابات فى ذلك الحين ، هى حماية القرى المحررة ، وشن الغارات المتلاحقة ضد مراكز العدو اليابانى بقصد تشتيت قواته من جانب ، واغتنام الاسلحة من جانب آخر .. ولقد نجحوا فى ذلك نجاحا منقطع النظير ، حتى أن تقارير القيادة اليابانية فى ذلك الحين كانت تقول ان ٩٠٪ من سلاح جيش حرب العصابات وذخيرته ، صناعة يابانية .

وكان اجتياح اليابان لمنشوريا فى سبتمبر عام ١٩٣١ مدعاة الى ظهور عدد من حركات المقاومة الوطنية ضد الغزو اليابانى .

وبطبيعة الحال ، كان من الطبيعى للجيش الثورى الكورى الذى يتخذ قواعده على طول خط الحدود بين كوريا ومنشوريا داخل اراضى الاخيرة أن يسعى لايجاد نوع من التنسيق والتعاون مع هذه الوحدات التى كان معظمها ينتمى لتيارات فكرية رجعية لا تهضم بسهولة فكرة التعاون مع الثوار الكوريين « ذوى الافكار اليسارية » ، بل كثيرا ما كانوا يدخلون معهم فى معارك مسلحة راح ضحيتها كثير من المناضلين البواسل ضد الغزو اليابانى المشترك للبلدين .

واخذ كيم ايل سونج على عاتقه مهمة توحيد القوى المناهضة للغزو اليابانى .

واخيرا .. فى ٢٥ ابريل عام ١٩٣٢ ، تم تأسيس جيش حرب العصابات المناهضة لليابان اى الجيش الثورى للشعب الكورى .. وبدأت سلسلة المعارك التحررية التى استمرت بلا انقطاع ١٣ عاما .. حتى تحقق النصر النهائى .. وخرج اليابانيون من منشوريا ، ومن الصين بأسرها ، ومن كوريا مدحورين .

ومن حق الثوريين الكوريين أن يفخروا بجيش حرب العصابات المناهضة لليابان حيث كانوا هم نواته وقوته الضاربة وحيث كان أول جيش منظم لحرب العصابات فى التاريخ الحديث يخوض معارك التحرير المسلحة للخلاص من الاستعمار والاحتلال الاجنبى .

وفيما بعد ، حينما تكونت فى أوروبا المحتلة جيوش حرب العصابات ضد الغزاة الهتلريين ، كانت الخبرة الغنية التى

اكتسبها الثــوار الكوريون ، والتكتيكات البــارعة التى تعلمــوها واتقنوها من خلال مئات المعارك والاشتباكات مع قوات تفوقهـــم عددا وعدة ، والتقاليد النضـــالية الرائعة التى كان لهم شرف السبق الى وضعها والأخذ بها ـ كل ذلك أصبح ذخيرة كفاحيــة لحركات التحرر الوطنى والكفاح المسلح ضد الغزاة فى اوروبــا ايام هتلر ، ولا زال زادا يعتز به ويســـتفيد من خبرتــه الثــوار المناضلون اليوم فى افريقيا ضد الاســتعمار البرتغــالى وضــد الحكومات العنصرية .

بل لعلنا لا نغالى اذا قلنــا أن خبرة تكتيكــات جيش حرب العصابات المناهض لليابان كانت تحت يد الثوار الجزائريين البواسل وهم يخوضون حرب المليون شهيد للخلاص من الاستعمـــــار الفرنسى ، واقامة جمهورية الجزائر الحرة المستقلة ٠٠ قلعة للتحرر والتقدم على ارض الوطن العربى .

ومع انى لا ازعم نفسى خبيرا فى الشئون العسكرية الا اننى اعتقد ان أهم تقاليد حرب العصـــابات التى كان للكوريين شرف السبق اليها فى العصر الحـــديث هى أولا ، الارتبــاط العميق بالشعب .. وبالذات جماهير الفلاحين فى القرى التابعة تحت قبضة العدو ، وكتل العمال فى المدن المحكومة بواسطته مباشرة أو بواسطة عملائه .. وتكوين خلايا سرية فى كل مكان مهمتهـــا مساعدة رجال حرب العصابات بالمعاومات وحماية ظهرهم عنــد الهجوم وتزويدهم بمدد لا ينقطع من المتطوعين ، وربط الجماهير باستمرار عن طريق الدعاية والاثارة بجيش التحرير وأهدافه .

وثانيا أن يكون لجيش حرب العصابات قواعد حصينة بعيدة ما أمكن عن متناول العدو ٠٠ يستطيع فيها أن يحشد امكانيــاته

وينظم صفوفه ويدرب كوادره ، على أن تكون هذه القواعد ايضا سهلة الاتصال بالخارج من أجل تعبئة القوى النضالية العالمية فى صفها ، والحصول على أكبر قدر من المساعدة المادية والأدبية .

وثالثا ، ربط الاعداد العسكرى بالوعى السياسى والاجتماعى ، بحيث يكون لدى الكوادر المقاتلة فكرة شاملة عن القضية التى يسترخصون الموت فى سبيلها ، والمجتمع الذى يحلمون باقامته ، والوسائل الكفيلة ببناء هذا المجتمع المنشود بنجاح .

ورابعا ، ان تكون هناك قيادة فدائية بمعنى الكلمة ، وعلى اكبر قدر من الوعى والحنكة والقدرة على تغيير التكتيك ، واخضاع الظروف الطبيعية لمقتضيات المعارك ، والاستفادة الكاملة من هذه الظروف فى اضعاف مراكز العدو وتقوية مراكزها .

ويتبقى بعد ذلك أن يحافظ جيش العصابات دائما على النقاء الثورى لقيادته واعضائه ، وان يمارس بدقة متناهية تقاليد الانضباط الكامل ، والنقد ، والنقد الذاتى على أوسع نطاق ، وان يحرص على عدم السماح للتيارات الانتهازية أو المغامرة بالتسرب الى صفوفه .

وحرب العصابات تستهدف تحرير الارض ، ووسيلتها الى ذلك هى ابادة أكبر عدد ممكن من قوات العدو المحتل ، واشاعة الذعر بين صفوفها ، حتى يصبح وجودها على ارض الوطن مستحيلا .

وكان التكتيك الذى استنبطه الزعيم كيم ايل سونج وطبقه فى مختلف مراحل معركة التحرير هو :

اذا حشد العدو قواته بغية القيام بهجوم مكثف مركز ، ينتشر

رجال حرب العصابات فى وحدات متناهية الصغر تشن الغارات من خلف العدو فى كل مكان على شكل غارات خاطفة .

وإذا تبعثرت قوى العدو ٠٠ يحشد رجال العصابات قواتهم فى وحدات كبيرة ليقوموا بهجمات مكثفة مركزة .

ثم أصبح هذا التكتيك قانونا اساسيا لحرب العصابات فى كل مكان .. فى فيتنام .. مثلما هو فى انجولا وغينيا بيساو .

وقد استمرت المعارك بين جيش حرب العصابات وقوات الاحتلال اليابانى عدة سنوات على هذا النحو ، تكبد اليابانيون خلالها خسائر فادحة ، وجعلتهم هذه الخسائر يزدادون من جهتهم جنونا وتنكيلا بجماهير الشعب الكورى سواء فى القرى المحررة على الحدود المنشورية أو فى داخل كوريا .

ويقول الزعيم العظيم كيم ايل سونج نفسه عن هذه الفتره

« لقد استطعنا ان نحمى قواعد حرب العصابات لمدة اربع أو خمس سنوات رغم هجمات العدو اليائسة نظرا لأننا استخدمنا هذا التكتيك . كان اليابانيون فى ذلك الوقت لا يمسكون الا بالطرق الرئيسية حول المدن ، ولم يكن فى وسعهم الذهاب الى الريف بحرية ، فهل كان لدينا اسلحة جديدة حينذاك ؟ لم يكن هناك سوى حرب العصابات،ولم يكن لدى بعض هؤلاء سوى بنادق .. بل أن بعض البنادق كانت من النوع ذى الفتيل ، ولم يكن لدى البعض الآخر سوى رماح أو سيوف ، وفى احسن الاحوال كان البعض يحملون بنادق صيد . ومع ذلك فقد تسلحنا جميعا بهذا السلاح ، رجالا ونساء ،وقاتلنا ببسالة وفق تكتيك حرب العصابات الصحيح .. » .

وفى صيف عـــام ١٩٣٥ تقرر الانتقـــال الى مرحلة اخرى ، وانتقلت القوة الاساسـية لجيش حرب العصابـات الى شـمال منشوريا حيث بدأت فترة من الهجمات المزعجة للغـاية فى مؤخرة العدو ، واستمرت نحو عامين ، عاد بعدها الجيش اكثر قوة الى منطقة الحدود .. أى الى مشارف البلاد ، ليخوض معـركة من امجد المعارك فى تاريخ الكفاح المسلح للشعب الكورى .. تلك هى معركة بوتشونبو .



الفصل الرابع

تقع مدينة بوتشونبو على الحدود بين اقليم هامكيونج الجنوبى فى كوريا ، ودائرة تشانجباى فى أراضى منشوريا .

وكانت قوات الاحتلال اليابانى تعتبرها مخفرا أماميا ، ومركزا لمطاردة رجال حرب العصابات الذين تزايد نشاطهم بصورة ملحوظة فى هذه المنطقة منذ بدايات عام ١٩٣٧ ، واصبحوا يسببون للعسكريين اليابانيين صداعا مؤلما مستمرا ، ، خصوصا وهؤلاء يتأهبون للقيام بعملية غزو شاملة للصين بأسرها ، ويهمهم قبل كل شيء تأمين مؤخرتهم ، تطهيرها من الثوار .

وفى ربيع ١٩٣٧ قامت قوة تأديبيــة يابــانية بكنس منطقة تشانجباى شبرا شبرا بحثا عن معسكرات جيش العصــابات ، ولكنها لم تعثر لهم على أثر .. فقد كان هؤلاء يعلمون مقدما بكل تحركات القوة اليابانية واستطاعوا تفادى الاصطدام بها .. حتى عادت بخفى حنين ، وليؤكد قائدهــا لرؤسـائه ان جيش حرب العصابات المناهضة لليابانيين قد تبخر تماما ولم يعد له وجود .

ولكن الانباء لم تلبث أن كذبته عندما جاءت البرقيات المفزوعة من اقليم فوسونج فى الشمال تتحدث عن غارات الفدائيين التى لا تنقطع ضد المواقع اليابانية ومخازن الذخيرة والسلاح وطوابير المدرعات والقطارات الحربية .. الخ . وكانت كل الانباء تؤكد أن الزعيم كيم ايل سونج نفسه موجود هناك فى فوســونج ، يدير

العمليات ويخطط الهجمات ، بل كثيرا ما يشترك بنفسه فى معظم الغارات .

ومرة أخرى تتحرك القوة التأديبية للشمال .. الى فوسونج .. وكان هذا بالتحديد هو ما يريده الزعيم كيم ايل سونج .. قائد جيش حرب العصابات .

وبينما كانت طوابير القوة التأديبية بأسلحتها الثقيلة تسرع فى طريقها نحو الشمال كان المناضل كيم ايل سونج ومعه نحو ١٥٠ من أمهر رجاله ينحدرون جنوبا عبر الجبال والروابى والوديان .. ووجهتهم هذه المرة بوتشونبو ذاتها .

ولم يكن الهدف فقط القيام بغارة ناجحة ضـــد موقع كبير وهام للعدو ، وابادة أكبر عدد من قواته واغتنـــام أكبر قدر من سلاحه كما هو الشأن فى كل الغارات السابقة ، وانما كان لهم اليوم هدف اعظم بكثير ، ذلك هو النزول لأول مرة الى أرض الـوطن الكورى .. ونقل المعارك بالفعل الى داخله ، واقنـــاع المواطنين الكوريين بالدليل الملموس أن جيش حرب العصـــابات موجود ، وقادر على الانتصار واشاعة الذعر فى صفوف المحتل المنتفخ صلفا وغطرسة .

والواقع أن موقعة بوتشونبو كانت علامة طريق بارزة فى تاريخ الكفاح الثورى الكورى من أجل الاســتقلال .. فلأول مرة يرى الفلاحون والقراء وسائر المعذبين فى كوريـــا جنودهم الفدائيين البواسل بين ظهرانيهم ويدهم هى العليا .. لأول مرة يشهـدون القادة المحتلين المستأسدين يتحولون الى فيران مـذعورة تلتمس الرحمة وتبكى تحت الاقدام .

ولنبدأ القصة من أولها ..

جاءت الانباء بواسطة الكشافة ، ومعظمهم من الصبية الصغار الذين كان يجمعهم تنظيم خاص ، أن القوة التأديبية اليابانية قادمة من الجنوب .. فتفرق جيش العصابات على شكل وحدات صغيرة متخذة أماكنها المعدة من قبل فى أعماق الاحراش والغابات ، وحيث لا تستطيع أية قوة الوصول اليها . ومن هناك اخذوا يناوشون العدو بسلسلة متواصلة من الغارات الخاطفة .

وفى نفس الوقت كانت الكتيبة التى اختار افرادها كيم ايل سونج بنفسه من اللوائين السابع والثامن وسرية الحرس تتخذ طريقها نحو الجنوب .

كان ذلك فى صباح اليوم الثامن من شهر يونيو ١٩٣٧ . وفى نفس اليوم وصلت كتيبة الثوار الى قرية من ضواحى ايسبسا متاوكو فاستقبلهم القرويون بحفاوة بالغة واستضافوهم مرحبين . وتفرق رجال الكتيبة فى القرية ، يعقدون الاجتماعات ، ويوزعون المنشورات ، ويتحدثون الى الفلاحين البسطاء عن الثورة وأهدافها ويلهبون حماسهم للانقضاض على العدو وانتزاع حريتهم وأرضهم من مخالبه .. حتى اذا ما أصبح الصباح ، جمع الزعيم كيم ايل سونج رجاله وواصلوا المسيرة ، تشيعهم نظرات اهل القرية المبللة بالدموع .. دموع الامل الذى عاد ينبض بعد ان فقدوه طوال تلك السنين .

وفوق قمة جبل توسيكول ، الذى يطل على نهر آمنوك الذى يشكل خط الحدود بين منشوريا وكوريا توقفت كتيبة الفدائيين لحظات : ليتطلعوا لأول مرة الى روابى بلادهم المزهرة على الضفة الأخرى من النهر .

ترى .. اية خواطر دارت فى رؤوس هؤلاء الابطـــال فى تلك اللحظة وهم يشمون لأول مرة عبير وطنهم السليب ويرون بأعينهم جباله ووديانه وغاباته ؟

فلنترك أحدهم .. واسمه آه بيك ريونج يتحدث الينـا عن تلك اللحظة النادرة فى حياة الانسـان .

« أخذنا نمعن النظر فى زرقة مياه نهر الامنوك الخـالد .. وقد انعكست عليها قمم جبال الوطن المغتصبة فى جلال وتطوقها غيوم بيضاء . »

« آه كم من مرة حلمنا بهذه الجبـال .. وهـذه الميـاه .. وها نحن اليوم نراهابالعين ونسمع زقزقة عصافيرها ونكاد نقبل ترابها وتصافح وجوهنا نسماتها الندية الحبيبة .. »

« والتفت الى الرفيق الـواقف عن يمينى .. والى الآخر الواقف عن يسارى فاذا بى أراهما مأخوذين كانما هما فى سـحر مقيم .. ودموعهما تنساب على خدودهما وهما لا يدريـان .. وانتبهت فجأة لأجدنى أنا أيضا ابكى .. كنا كلنا .. نحن الذين لم تعرف الدموع طريقها يوما الى عيوننا نبكى .. ونظراتنا تسبح لأول مرة منذ سنوات فوق روابى الوطن الغالى .

وكان مجرد التفكير فى تلك اللحظة بالـذات أن اللصـوص الامبرياليين يعتصرون شعبنا حتى النخاع .. ويمارسـون على ارضه كل الوان التعذيب الوحشى ، يرسل فى نفوسنا لهبا لا ينطفىء من الغضب والرغبة فى الثأر » .

وتقدمت الكتيبة فى ظلام الليل حتى ملتقى نهر الامنوك بنهر كواوسو ، حيث كان المكان المعين للعبور . وتمت عملية العبـور

بنجاح بواسطة معدية من سيقان أشجار الصنوبر المربوطة بالحبال، ثم واصلت الحملة مسيرتها ، بعد ان تركت لدى المعـدية سرية لحراستها وتأمين عملية الانسحاب .

وعندما اشرقت شمس الرابع من يونيو ، كان على قمة جبل كونجا ندوك نحو مائة وأربعين مقاتلا تغطيهم غصون الاشجار ، يرقبون بنظرات مسحورة كل ورقة شجر وكل جناح فراشة وكل زهرة برية حولهم وكأنهم يرون كل هذا ويلمسونه لأول مرة في حياتهم .. ويتمرغون فى جزل بين الأحراش . وبين الحين والحين تجد أحدهم يملأ قبضتيه من تراب أرض الوطن ويقربها من انفه ليملأ صدره وخياشيمه برائحتها الزكية ، ثم يفركها على خده كأنما هى مسك أو عنبر .

وهناك على مرمى البصر تحت اقـداء الجبل كـانت مدينة بوتشونبو تستيقظ مع أشعة الفجر والحركة تتزايد بسرعـة فى شوارعها الضيقة وميدانها الرئيسى ، حيث تصادف أن كان ذلك اليوم يوم السوق الاسبوعى . ولم يدر بخلد مئات الفلاحين من أهل المدينة أو من الزاحفين اليها من القرى المجاورة أن على بعد اقدام قليلة منهم يقبع رفاقهم أبطال جيش حرب العصـابات ينتظرون بفارغ الصبر ساعة الصفر .. ولم يخطر ببال احـدهم أن ذلك الرجل الغريب الذى يدور فى الشوارع فى زى المسـافر الغريب ليس الا « كيم هاك سيل » رجـل العصابات المشـهور الذى وضعت له السلطات اليابانية ثمنا لرأسه وعلقت صـورته على كل الجدران .. أو ان ذلك التاجر الذى ينادى على بضـاعته من البيض متنقلا من مكان الى مكان ليس سوى « مادونج هى » رفيق كيم ايل سونج فى النضال واحد الرواد الأوائل فى الكفاح

السلح ضد المحتلين .. وقد نزل الاثنان مع خيوط الفجر الأولى الى المدينة يجمعان كل ما يمكن من معلومات ويتأكدان من اية تعديلات تكون قد طرأت على مواقع العدو المقصودة بالهجوم .

وانتصف النهار ، واختفى الكشافان من شوارع بوتشونبو ليظهرا بعد لحظات على قمة الجبل المكسوة بأشجار الصفصاف والصنوبر الى جوار كيم ايل سونج ، وهو ما زال يدرس بمنظاره المقرب كل تفاصيل المدينة .. ومبانى العدو المنتشرة بين أرجائهـا وفى ضواحيها .

وقسم الزعيم كيم ايل سونج كتيبته الى اربع سرايا .. لكل منها مهمتها المكملة لمهام الثلاث الأخرى .

أما السرية الاولى ، فوجهتها مكتب حماية الغابات .. ودائرة الناحية ، والمركز الزراعى التجريبى ، ودائرة البريد .. وكلها من المقار الادارية القاصرة على اليابانيين .

وكان على السرية الثانية المزودة بمدفع رشاش واحد السيطرة على الطريق المؤدى الى هيسان حيث يوجد معسكر كبير لقوات العدو ، وقطع خطوط التليفون ، ومنع أية قوة للعدو يمكن ان تأتى من هذا الاتجاه .

والسرية الثالثة التى زودت بمدفعين رشاشين كانت مهمتها أقتحام مركز الشرطة ، وابادة اليابـانيين فيه ، وفى نفس الوقت قطع الطريق المؤدى الى موسان حيث هناك معسكر آخر للعـدو .

وتبقى بعد ذلك مهمة السرية الرابعة ، وهى توزيع المنشورات والبيانات فى جميع ارجاء المدينة ، وفى نفس الوقـت تأمين نقـل الغنائم والاسلحة التى يستولى عليها من العدو .

وكان الهدف هو ابـادة اكبر عـدد ممكن من جنود العـدو ورجاله ، واشاعة اكبر قدر من الفزع والذعر بين صفوفه ، وفى نفس الوقت جمع اكبر كمية ممكنة من سلاح العدو ، وبعث روح اليقظة والأمل لدى الأهالى من سكان المدينة .

ولقد تمت المهمة على اكمل وجه .. وبدون خسائر بالمرة ، فما ان مالت الشمس الى المغيب وراء سفح الجبل حتى انطلقت صفوف الفدائيين على شـكل طوابير فردية متبـاعدة يتقـدمهم الكشافون نزولا من فوق قمة جبل كونجاندوك . وعبرت الكتيبة نهر كارمتشون الصغير الذى يجرى بمجازاة جبل بوتشونيو دون ان يصدر عنها اى صوت .. وعند أطراف المدينة تفرقت السرايا الأربع كل الى غايتها .

ولنترك الحديث هنا للرفيق آه بيك يونج الذى كان ضمن السرية الثالثة المكلفة بمهاجمة مركز الشرطة .

« دنونا من هدفنا بسرعة .. دون أن يشعر بنا العدو .. واخذت أتقدم خطوة فخطوة من مركز الشرطة وانا أشـد مدفعى الرشاش بقوة الى جسـدى .. وأكـاد احس به وقد تحول هو ويدى وكتفى الى كتلة واحدة .

وعندما وصـلت الى مبنى مركـز الشرطة القيت نظرة الى الداخل . كان هناك اثنان من الشرطة يستجوبان اثنين من الفلاحين المساكين ، واحدهما واقف على قدميه وفى يده عصا ، بينما الآخر متكىء بوقاحة فى جلسته وظهره لى .

واحسست فجاة بنوبة عارمة من الغضب تتملكنى . وقبل ان افعل شيئا دوى صوت طلق نارى هز شـوارع بوتشونبو ،

وادركت لتوى ان الهجوم على مكتب حمـاية الغابـات قد بدأ . وقبل ان يفيق الشرطيان من المفاجأة ضغطت على زناد مـدفعى الرشاش الذى كان مسددا الى صدر الشرطى ذى العصا فخر صريعا وهو يرسل صرخة يائسة .

وبطلق نارى آخر تحطم المصـباح . ورغم الظـلام استطعت أن اعاجل الشرطى الآخر وهو يهم بالهرب من الباب المواجه بدفعة من النيران اصابته فى ساقيه • واقتحم زملائى المكان • وفى حظيرة الخنازير الملحقة بمركز الشرطة عثرنا بالشرطى الجريح وهو يرتجف مذعورا ولم يكن لديه استعداد لابداء أية مقاومة •

وهكذا استولينـا على مركز الشرطة . وغنمنـا كل ما كان يحتويه من سلاح . وكان من بينه مدفع رشاش وكمية كبيرة من الذخيرة ، فضلا عن عشرات البنادق والمسدسات .

فى نفس الوقت . وبنفس الطريقة تقريبـا اقتحمت وحدات الفدائيين دائرة حماية الغابـات ، والمراكز الزراعية التجريبيـة ، ودائرة البريد .

غير ان الغارة على دائرة حماية الغابات بالذات اكتسبت طابعا خاصا • حيث كان جميع الشخصيات اليابانية البارزة فى مضالح المدينة واداراتها مجتمعين هناك فى وليمة خاصة للاحتفال بترقية رئيسـها .. وقد لقوا حتفهم جميعا .

واشعلت النيران فى جميع مواقع العـدو ومبـانى اداراته فى المدينة بينما كان الاهالى يتقاطرون من جميع الشـوارع والازقة وهم يهتفون بحرارة منقطعة النظير .. تحيا الثورة الكورية .. يحيا الاستقلال !! ويعانقون المقـاتلين ودموع الفرح تنهمر من عيونهم لتغسل الخدود .

كان لدى كل واحد من هؤلاء ثار قديم لدى المحتلين .. ثار .. ظنه مات ودفن بتعاقب السنين تحت وطأة الهوان .. والآن .. جاءت اللحظة التى يرى فيها اعداءه الجبارين المتعالين يسقطون على الأرض .. برصاص الاخوة الاشقاء رجال حرب العصابات .

وبينما نيران المبانى المشتعلة تتصاعد للسماء وتحول ظلام الليل الى نهار فوق مدينة بوتشونبو ، كانما هى اعلان بانوار النيون للقرى المجاورة أن كتائب الثوار جاءت هنا وان يوم التحرير يطرق على الابواب .. كانت السرية الرابعة تقوم بدورها بهمة ونشاط لدى الاهالى المتزاحمين فى كل مكان .. يوزعون المنشورات ويلصقون البيانات التى تتضمن « برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن .. » و « نداء الى الشعب الكورى » و« البلاغ » .. الخ .. على الجدران والابواب وأسوار الحدائق واعمدة التليفون .

وبعد سنوات طويلة من هذا اليوم أتيح لزائر مصرى لمتحف الثورة فى مدينة بيونج يانج أن يطالع صورة من منشور البلاغ الذى وزعه الثوار فى يوم ٥ يونيو عام ١٩٣٧ بمدينة بوتشونبو

وربما كان تاريخ « ٥ يونيو » بالذات هو الذى شد عينيه وجعله يحرص على أن يترجم اليه المنشور .. فى تلك الايام .. كان الظلام الذى يحلق فوق كوريا أكثر ثقلا وسوادا من سواد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ وكان العدو الذى يواجهه الشعب الكورى اقوى واعتى واكثر قدرة وضراوة .. وميزان القوى محسوم فى صفه بشكل لا يقبل المناقشة .

ولم يكن يضىء فى هذا الظلام سوى تلك الحفنة القليلة من رجال حرب العصابات .. المسلحين بسلاح غاية فى الفقر ..

مجرد بنادق رشاشة وبضع مسدسات .. ومع ذلك فقد كان لديهم ذلك السلاح الأخطر الذى اذا ما تملكه قوم كان النصر حليفهم مهما بلغت درجة الظلام وقوة الاعداء .. ذلك هو الايمان الخالص بالقضية التى وهبوا أنفسهم لها .. والادراك الواعى لاتجاه حركة التاريخ ، ودورهم هم فى دفع هذه الحركة والتعجيل بها .

ولنطالع معا بعض ما جاء فى ذلك المنشور ..

« .. ان امتنا الكورية تجد نفسها فى موقف عصيب فاما الحياة واما الموت .. اما الوجود واما الخراب . »

« اننا من رجال الجيش الثورى للشعب الكورى الذى يكافح لكى يمهد الطريق لامتنا ويبنى حياتنا ويهزم الامبريالية اليابانية ويحرر الوطن ، والجميع يعرفون حق المعرفة اننا قد انزلنا بالاعداء اللصوص ضربات قاصمة خلال المعارك الدموية التى خضناها منذ ست سنوات أو سبع فى سهل منشوريا الفسيح . »

« نحن الجيش الثورى للشعب الكورى قد عبرنا نهرى دومان وآمنوك لكى نقاتل فى مقاطعتى هامكيونج الشمالية والجنوبية حيث نواجه مباشرة حكومة كوريا العامة .. هذه العلقة التى تملأ كرشها بدماء الامة الكورية .. معتمدين فى ذلك على الوحدة الراسخة بين محاربينا البواسل والوطنيين الكوريين . »

« أيها المواطنون الفقراء يا اخوة كوريا واخواتها .. انهضوا على عجل تحت لواء الجبهة المتحدة القومية المعادية لليابان لكى تلبوا النداء ، نداء جيشنا المحارب بمختلف اشكال النضال .. »

« ولنتقدم بشجاعة لكى نطيح فى أقرب فرصة بالسيطرة الامبريالية اليابانية ونقيم حكومة حقيقية للشعب الكورى » .

ولعلها كانت كلمات كبيرة فى ذلك الحين .. لعل حديث تلك الحفنة المعدودة من المناضلين الشرفاء عن اقامة حكومة حقيقية للشعب الكورى كان يبدو بالنسبة للكثرة من قرائه حينذاك مجرد تعبير عن حلم بعيد المنال . تماما مثلما تبدو اليوم بالنسبة للكثيرين شعارات فتح وأيلول الاسود وسائر مناضلى فلسطين التى تتحدث عن استعادة الارض المغتصبة .

ومع ذلك فلم تمض ٨ سنوات وبضعة أيام على ذلك اليوم الذى قرأ فيه أهالى بوتشونبو منشور « البلاغ » لاول مرة . حتى كان الوعد قد تحقق .. وحتى كان نفس هؤلاء الابطال يقيمون على أرض كوريا حكومة حقيقية للشعب الكورى ، بينما ذهب الغاصبون فى خبر كان .. وانتهى مصير عملائهم الى سلة مهملات التاريخ .

ولنعد مرة أخرى الى بوتشونبو لنجد أهالى المدينة يزحفون مثل جحافل النمل من كل صوب متجهين الى مكان مبنى مركز الشرطة ، حيث النار المشتعلة ما زالت تضىء الميدان المواجه وحيث وقف الزعيم بقامته المهابة وشبابه اليافع ، يحف به رفاقه المنتصرون ، فلما اكتمل الجمع .. القى الزعيم كيم أيل سونج وهو يرد بحرارة على هتافات الجماهير خطابا ملتهبا أثار حماس القوم ونفخ فيهم روح الثقة المطلقة بحتمية الانتصار .

وعندما انتصف الليل أو كاد .. نفخ حامل البوق نوبة الانسحاب : وبين الاحضان وعبارات الوداع انتظم عقد الكتيبة

المنتصرة ٠٠ لم يفقد منها احد ، ولم تحدث بها أية اصابات ، غير ان احمالهم زادت عدة اطنان ٠٠ كانت تلك هى غنائم المعركة التى تطوع نحو مائتين من رجال القرية لحملها عن المقاتلين معظم الطريق ٠٠

وعند ضفة نهر آمنوك ، حيث كانت معـــدية « الطوف » ما زالت فى مكانها تحت الحراسة ، وحيث الليل ما زال باســط ستائره السوداء .. تم عبور جميع المحاربين والرفاق المصاحبين من رجال بوتشونبو واحمال الغنائم الوفيرة بسلام ٠

وكان فى جيب كل مقاتل تذكار عزيز .. حفنة من تراب ارض الوطن ٠

والآن ما الذى كان يحدث فى الجانب الآخر ؟

لم تصـــل انباء بوتشونبو الى قادة الشرطة وجيش الاحتـــلال الا بعد بضع ساعات بسبب انقطاع الاتصـــال التليفونى .. كان الفدائيون خلالها قد اتموا مهمتهم وعبروا نهر آمنوك الى الادغـــال الحصينة التى يعرفونها شبرا شبرا ، والتى يحسون فيها أنهـــا قلعتهم المحصنة ضد أية مطاردة أو هجوم ، فـــوق جبـــل كوسى وكان من حق السلطات اليابانية ان تفزع كل الفزع للنبأ القادم من بونشونبو ٠٠ فقد كانت هذه أول مرة منـــذ سنوات ينتقـــل فيها مسرح عمليات الجيش الثـــورى الكورى الى داخل الاراضى الكورية فيطيح بضربة واحدة بكل هيبة « الســـلطة » واعتمادها على تخويف الأهالى ..

كما أفزعها أكثر ما وصل الى سمعها من حسن استقبال أهل المدينة للثوار المقاتلين وترحيبهم وتطوعهم لمساعدتهم ٠

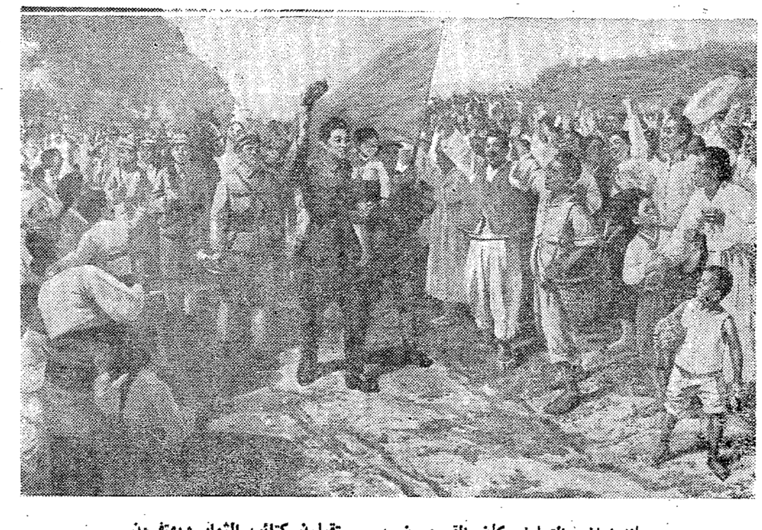
لذلك فقد انتفض العدو كمن لدغه ثعبان .. فاجتمع على الفور مجلس الامن القومي ووجهوا الى بوتشونبو ذاتها وحدة ضخمة من رجال شرطة الطوارىء مزودين بتعليمات لتأديب المدينة وارهابها كما دفعوا بوحدات أخرى فى اتجاه نونجسان وروكسان على ضفة نهر آمنوك . وفى نفس الوقت اطلقوا القوة التأديبية التى تتخذ مراكزها الرئيسية فى هيسان فى أعقاب الثوار المقاتلين .

وعندما جاء الكشافة بنبأ اقتراب القوة التأديبية أصر كيم ايل سونج على عودة الاهالى المدنيين الى المدينة .. أولا لأن وجودهم بالمدينة سيشد من أزر أهلها وسيكون هؤلاء نواة لتجنيد الالاف من ابنائها لصف الثورة . وثانيا لأن وجودهم مع المقاتلين المدربين وهم غير مؤهلين لخوض قتال منظم سيكون عبئا على الثوار اكثر منه عونا لهم .

وبصعوبة مصحوبة بكثير من الدموع وكلمات الاحتجاج عاد هؤلاء الى بوتشونبو متفرقين كما طلب اليهم الرئيس كيم ايل سونج ، ومستترين ما أمكن حتى لا تكشفهم خيوط الفجر الأولى التى بدأت تتسرب من خلف الجبل .

وأقبلت وحدات الشرطة .. تتقدمها وحدة المفتش اليابانى أوكاوا الذى كان له فى ذلك الحين صيت ذائع فى القمع والتأديب ، وفى أعقابه ثلاث وحدات اخرى .

وعندما التأم شمل الجميع تحت اقدام جبل كوسى ، وبدأوا بعد تردد يصعدون لاهثين كان فى انتظارهم مفاجأة طار لها صوابهم .. فقد تركهم الثوار يتقدمون حتى أصبحوا على بعد



بالاحضان والتهليل كان القرويون يستقبلون كتائب الثوار ويهتفون للزعيم كيم ايل سونج قائد حرب التحرير .

عشرين أو ثلاثين مترا ، وهنا ، فتحوا عليهم النيران ، وقبل أن يفيق هؤلاء من الصدمة كان الثوار ينقضون على صفوفهم الاولى بالسلاح الابيض ، فترك الذين فى المؤخرة رفاقهم الاماميين يلقون مصيرهم وهرعوا يولون الادبار نزولا على سفح الجبل .. ولكن هنا ايضا كان ينتظرهم مصير اشنع .. فقد اخذ الثوار يدحرجون فوق رؤوسهم كتل الصخور الضخمة التى كانت تقفز على سفح الجبل كأنها شياطين مردة لتنقض فوق رؤوس الهاربين وتمزقهم اشلاء .

أما من نجا من هذا وذاك ، فقد كان صيدا سهلا للقناصة الرابضين فوق الاشجار .

وكانت ضربة قاسية أخرى لسلطات الاحتلال ، جعلت القائمين عليها يزدادون غضبا .. وبالتالى يزدادوون تهورا .. وجعلت شعار « القضاء على جيش كيم ايل سونج » يسيطر على كل افكارهم وتحركاتهم .

غير أن هذا الشعار بالذات ، كان واحدا من الاسباب التى جعلت اسم الزعيم كيم ايل سونج اثيرا لدى ملايين من الكوريين لا يعرفونه ، وانما ربطوا فى افئدتهم بين هذا الاسم ويوم التحرير .

ولقد اتيح لى أيضا ان اطالع فى بعض قاعات متحف الثورة بمدينة بيونج يانج نص البيان الذى اذاعته سلطات الاحتلال اليابانية غداة معركة جبل كوسى .. وكان يقول :

« فى الساعة الحادية عشر من صباح أمس ، أخذ « العدو » ــ لكى يحتفظ بمعنوياته ــ يدحرج الصخور من فوق قمة الجبل ، وانتهز التفوق الذى حصل عليه فشن هجوما مضادا ، وتمكن من سلب سلاح الضحايا وذخيرتهم . »

« أما المفتش أوكاوا فقد قرر ان يموت هو ورجاله ميتة « الابطال » وظلوا يقاتلون حتى آخر نفس . »

وقد اصيب ايضا الرواد كواموتو ، وهاياسى ، واندو بجراح بالغة بعد ان ظلوا يقاتلون الى ان نفذ ما معهم من ذخيرة » .

وهكذا عادت وحدات الجيش الثورى الى المعسكر السرى فى هاهيسا وتزوكو مكللة بأكاليل الغار .

وكان من حق الثوار المقاتلين بعد هذا النصر أن يطمعوا فى انتصارات أكبر .. فقد كان العدو يغلى فى طلب الثأر بأى ثمن ، وهذا كفيل وحده فى ان يورطه فى شبكة لا آخر لها من الاخطاء .. بينما كان المقاتلون يتحرقون شوقا الى تكرار « العلقة الساخنة » التى نالهم فيها الكثير من المجد والغنائم .

وأعدت سلطات الاحتلال قوة « ثأرية » ضخمة تضم نحو ٢٥٠٠ جندى ، ووضعت على رأسها قائدا اسمه كيم سيوك وان وكان يتمتع بقدر كبير من الغرور .

وقبيل نزول القوة التاديبية الى الاحراش لمطاردة الانصار .. رجال الجيش الثورى ، أعد القائد المغرور عرضا عسكريا حافلا لقواته فى ساحة محطة هامهيونج ، استدعى لمشاهدته العديد من مصورى الصحف والمندوبين ، وعندما امتطى ظهر عربته .. لوح بيده للصحفيين وهو يقول بكل اعتداد :

« انتظرونا ... وانظروا جيدا الى عربتى هذه عند العودة ؛ فستجدون فيها قائد الانصار بنفسه مقيدا بالاغلال ... » .

وهكذا .. غادر مدينة هيسان رتل طويل من سيارات النقل يضم مائة سيارة على الاقل تحمل القوة التاديبية التى اقسم

قائدها يمين الولاء للامبراطور ، واعـدا الا يعود الا بعد القضـاء نهائيا على الانصار .

ولكن الانصار كانوا يعرفون بكل تحركات القوة التـاديبية لحظة بلحظة ، وكانوا بدورهم مسـتعدين لاسـتقبالها أحسـن استقبال .

ففى نفس اليوم الذى كانت فيه القوة التاديبية تغادر فيـه هيسابن ، كان الجنرال كيم ايل سونج و ٦٠٠ من رجاله الأشـداء قد حطوا رحالهم فى منطقة تدعى كانسامبونج ، على بعـد أميـال قليلة شرقى معسكرهم السرى فى هاهسيا وتزوكو .

كان ذلك يوم ٢٩ يونيو ١٩٣٧ ، وكان الموقع عبارة عن هضبة تبرز وسطها ثلاث قمم ، وكلها مغطاة باشـجار قديمة لم تعرف يوما فاس الحطاب ..

وأقيمت المعسكرات فوق القمم الثلاث .

وأقبل اليوم .. ومعه قرقعة العجـلات والمدافـع ، واخذت طلائع جيش التأديب ، مستترة خلف ضباب ثقيل تتقدم من ثلاث جهات فى وقت واحد غـافلة عن الموت الذى يترصـد الرجال خلف كل شجرة .. وعندما اقتربوا بما فيه الكفاية فوجئوا بالنيران تنصب عليهم من كل جانب ،واذا بكل وحدة من الوحدات الثلاث الرئيسية التي كانت تتقدم للهجوم مشتركة فى حصـار من ثلاث جهات ، تكتشف انها هى محاصرة من اربع جهات . بل ومن السماء ايضا ، حيث كان القناصة فوق رؤوس الاشـجار يصطادونهم كالعصافير . بينما الانصار ينقضون من كل جـانب بالرشاشات والبنادق والقنابل .

وزاد من فداحة الخســـائر التى نزلت بالجيش التـاديبى امران :

الأول : الاصرار على المضى فى المعركة حتى النهاية ، بالرغم من الموقف العصيب الذى وجدوا أنفسهم فيه .

والثانى : ان الامطار أخذت تتدفق بغزارة منقطعة النظير ، فأخذت السيول المتدفعة من فوق القمم تكتسح ما فى طريقها .. وكان هذا ظرفا مواتيا لجنود الانصار الاشداء المدربين على القتال فى أسوأ الاحوال ، بينما لم يكن كذلك بالنســبة لجنــود القــوة التأديبية .

وكانت كارثة جديدة حلت بقوات الاحتلال ، فقد خسرت فى موقعة كانسامبونج أكثر من ١٥٠٠ رجل ما بين قتيــل وجريح .. وخسرت أكثر من هذا المزيد من هيبتهــا التى أصيبت بشرخ لم يقدر له أن يندمل ابدا .

وفى اليوم التالى .. شهدت محطة هامهيونج حطـام الجيش المهزوم وهو يعود متخما بالجراح ، بعد ان فقد الجزء الأكبر من رجاله ، وكل سلاحه تقريبا .. وشهد نفس المكان .. ذلك القائد المختال الذى كان يرفع عقيرته بالوعود الكبيرة وهو فى أتم زينة ، داخل عربته المطهمة منذ ٢٤ ساعة فقط .. شهده وهو يدخل من باب المحطة ملطخا بالدماء يترنح فى مشيته متحـــاملا على اذرع رجاله .. وهم اسوأ منه حالا .

وجلجلت فى أبهاء المحطة ضحكات عالية .. بينما كان القائد المغوار يطأطىء رأسه للارض مهزوما مدحورا .

وانصرف هم السلطات كله بعد تلك الهزيمة الى اخفاء الحقيقة عن الاهالى حتى لا تشجعهم على التمرد ضدها ، وكانت محاولتهم هزيلة مكشوفة لان كل الناس فى جميع ارجاء كوريا ومنشوريا تتحدث عنها وتتبادل التهانى .. فقد حظرت السلطات الاقتراب من ميدان المعركة حتى انتهت من دفن القتلى فى اطار من السرية. ومن أجل الاسراع فى هذه المهمة ، كانوا يجمعون الجثث ليحرقوها بعد أن يقطعوا رؤوسها .

ووضعوا الرؤوس المقطوعة فى عدد من الزكائب ليعودوا بها ، وبينما هم فى الطريق .. كان الفلاحون يسألون الجنود :

ــ ماذا لديكم فى هذه الاكياس ؟

وكان الجنود يجيبون حسب الاوامر :

ــ انه قرع عسلى ايها الاغبياء .

فيقول الفلاحون .. وهم يكتمون ضحكاتهم الساخرة فى الاكمام :

ــ بالهناء والشفاء ما ستأكلون .

ومنذ ذلك الحين ، يستخدم الشعب الكورى كلمة « قرعة » للسخرية من كل نبأ كاذب وللتدليل على أنه مكشوف مفضوح .

الفصـــل الخـامس

بعد بوتشونبو ، أخذت الأحداث تتطـور بسرعة ، ولـــكن التطورات كلها كانت فى صـالح الثورة الكورية ، فقد ارتفع المد الثورى لدى الشعب الكورى ، وأيضا لدى الفلاحين البسطاء فى منشوريا بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ، وتمثل ذلك من ناحية فى اقبال الآف بعد الآف من الشباب الى معسكرات الجيش الثورى للشعب الكورى طالبين الانضمام اليه ، كما تمثـل فى نمو حركة التمرد فى الداخل وتزايد اضرابات العمال والطلبة وانتفاضات الفلاحين فى جميع انحاء كوريا من أقصى الشـــمال الى أقصى الجنـــوب .

وفى نفس الوقت تضاعفت أعمال التنكيل من جانب سلطات الاحتلال اليابانية الى الحد الذى افعم معه سخط الجماهير ..

ومع صيحات الألم ، ارتفعت ايضا صيحات الغضب ، وتعددت اعمال قطع الطرق وانفجارات السكك الحديدية والقاء القنـابل على معسكرات اليابانيين واصطياد جنودهم فى الشوارع .. كما اصبحت المصادمات بين جماهير المتظاهرين وقوات الامن الجيش اليابانى شيئا مألوفا فى حياة الناس اليومية .

وفى السابع من يوليو عام ١٩٣٧ اقدمت اليابان على غـزو الصين .. فكان هذا أيضا من العوامل التى عجلت بنبض الاحداث ، حيث زادت لهفة السلطات اليابانية من اجل تأمين مؤخرتها الى ان تخصص قوات تعد بمئات الالوف بهدف القضـاء على الانصار والجيش الثورى للشعب الكورى ..

وكانت هذه القوات تسلك سلوك القراصنة مع الفلاحين البسطاء ، تنتزع اقواتهم ومواشيهم وتتلف مزارعهم وتحرق قراهم مما زاد من غليان المرجل وضاعف من نفوذ قوات الانصار الذين كانوا اذا ما نزلوا قرية فعلوا العكس تماما .. فهم يساعدون الفلاحين على حرث الأرض ويعالجون مرضاهم ومواشيهم وكثيرا ما كانوا يشتبكون اشتباكات غير مدبرة مع القوات اليابانية دفاعا عن القرى والأهالى ...

ونشطت المنظمات الثورية فى كل مكان بكوريا ، وتكونت الخلايا فى كل مصنع وكل قرية .. وكان للتنظيمات النسائية ومنظمات الأطفال والصبيان أثر كبير فى رد غائلة الطغيان الاستعمارى وحماية مبعوثى الجيش الثورى والانصار الذين كانوا يحملون رسائل القيادة والمنشورات الثورية الى سائر أرجاء كوريا .

ولقد اتيح لى أيضا اثناء زيارتى لمتحف الثورة بمدينة بيونج يانج ان أقرأ صورة بالزنكوغراف لتقرير للشرطة اليابانية مؤرخ فى يناير ١٩٣٨ يقول :

« ... ولقد بعثوا بأفراد على جانب كبير من القدرة على الدعاية والاثارة الى هيونجنام وهامهيونج ووايوسان وسائر المدن الأخرى ذات الأهمية العسكرية فيما يتصل بالدفاع عن الاقليم كما ذهب كثير من هؤلاء « المهيجين » الى هامبوك وغيرها من مدن اقليم هاميكونج الشمالى وذلك بهدف انشاء مختلف المنظمات غير القانونية . أو للتعاون مع انصار مذهب « تشوندو » بغية توسيع قاعدة جبهتهم الشعبية ضد اليابان . »

« ثم انهم يعتبرون الحادث (اى الحرب بين الصين واليابان) فرصة مثالية لاسترجاع الاراضى الضائعة والحصول على

الإستقلال لكوريا ، ولذلك فقد قرروا شن تمرد مسلح ، وأخذوا يوهنون قوات المؤخرة ، بتعبئة كل شركائهم فى كوريا . »

وكل هذا صحيح ، ولكن ينبغى أن يضاف اليه أن تـوالى اضرابات العمـال أدى الى عرقـلة الانتـاج والحق بالمسـتثمرين اليابانيين خسائر مقلقة .

وكان من انجح الاضرابات فى ذلك الحين اضراب عمال معمـل التكرير فى هيونجنام فى سبتمبر ١٩٣٧ ، والمصانع الكيماوية فى بونجونج ، ومحطة كهرباء هيوتشونجانج فى الشهر التـالى ثم الاضرابات المتوالية بمعامل التكرير فى نامبو وميناء بوسان وغيرها .

وفى نوفمبر عام ١٩٣٧ تعطل العمل فى مد خـط حـديدى استراتيجى بين دانتشيون ويونجسان نتيجة لهرب ٢٧٠٠ عامل ، كما بلغت حالات الامتناع عن دفع الايجار والاشتباكات بين الفلاحين وكبار الملاك أكثر من عشرة آلاف حالة .

ولا أظننا فى حاجة الى القول ان كل ذلك كان نتيجة النشاط الجاد للخلايا الثورية ، السرية التابعة لها ...

اما فى الجانب العسكرى فقد توالت غزوات الانصار عـلى مسـتوى متزايد الضخامة والاتساع .

ومع تلهف العدو على محو قوات الانصار ، أخذ هؤلاء بتكتيك جديد يتلاءم مع جو الشتاء القارص فكانوا يستدرجون كتـائب العدو فى قلب الجبال المغطاه بالثلوج ، ثم ينقضون عليهم من فوق القمم عبر سراديب وممرات لا يعرف سرها سواهم .

وتضاعف خسائر العدو لكنه لم يفقد الأمل . وفى مكان كل وحدة يفقدها كان يرسل وحدتين . ولم يأت شتاء ١٩٣٧ حتى

كانت القيادة اليابانية قد قررت أن تفرغ ربع مليون جنـــدى للقضاء على الانصار فى هجوم واحد كاسح .

وهنا لجأ الزعيم كيم ايل سونج الى تكتيك آخر .. فقد قسم جيشه الكبير الى وحدات متناهية الصغر ، وتفرقت هـــذه الوحدات بين الأحراش والغابات ، وأخذت فى نفس الوقت تشن غاراتها الخاطفة ضد اطراف الجيش اليابانى العرمرم ، وأصبحت هذه الغارات بالنسبة للجيش الضخم كأنها لدغات العقـــارب فى الجســـم الكبير .

وأخيرا وصلت القوة الاساسية للثوار الى غابات ماتانجكو فى اقليم ما نجتشيانج .. وهناك أقاموا معسكرا كبيرا ببيـــوت من الحجارة ، وانتظموا جميعا فى دورة تثقيفية ، ليس هدفها فقط محو الأمية وانما اضافة المزيد من المعلومات السياسية والعسكرية الى المقاتلين والمقاتلات ، وفى نفس الوقت تنمية الملكات الفنيـــة والأدبية .

وفى هذا المعسكر البدائى وسط الغابات ولدت أوبرا « بحـــر من الدماء » وعرضت لأول مرة بناء على فكرة قدمها الرئيس كيم ايل سونج ، ثم اتيح لى أن اشهدها بعد ذلك بخمسة وثلاثين عاما على مسرح أوبرا بيونج يانج فى عرض تكلف كما قيل أكثر من ربع مليون دولار ، وفى اخراج باهر جعل كل مشاهديها يضعونها فى مصاف أعظم الأعمال الفنية فى العالم كله .

ويقول الرفيق باك تشانج سون الذى يشغل حاليا منصـــبا هاما فى الادارة السياسية للقوات المسلحة عن تلك الفترة :

عندما وصلنا الى معسكر غابات ماتانجكو .. لم أكن أعـــرف القراءة والكتابة ، كنت أميا جاهلا لا اعرف شيئا من أمور الحياة

ســوى أن اليابانيين أعدائى ، وانهم هم الذين قتلوا أبى واخى الأكبر وانهم سرقوا وطنى كله ·· وعلى انا ان استعيده منهم مــع رفاقى .

وعندما حضرت أول درس ، خرجت منه وقد تملكنى اليأس . لاننى اكتشفت اننى لست فقط جاهلا ، انما غبيا أيضــا .. وقررت الا أشهد هذه الدروس مرة أخرى .

وفى اليوم التالى .. استدعانى الرفيق كيم أيل ســونج ليسألنى لماذا هجرت قاعة الدراسة فقلت :

ـ ايها الجنرال .. اننى نشأت فى اسرة فقيرة جدا جدا .. معدمة ·· تتسول قوتها ·· ويبدو ان هذا لم يجعلنى جاهلا فقط وانما جعلنى غبيا أيضا . غير أنى من الناحية الأخرى اعرف كيف امسك البندقية ، وكيف اصطاد العدو بطلقة واحدة من على بعد مئات الأمتار .. فلماذا أضيع وقتى فى شىء لن استفيد منه ولن افيد ؟

أجاب الجنرال :

ـ اسمع ، ان أى جاهل يستطيع ان يقتل . ولكننا هنا لا نريد قتله انما نريد ثوارا ·· والثائر لا يكفى ان يعلم جيدا لماذا يقاتل ، وانما يجب أن يعلم غيره كذلك ، ثم اننا لا نريد ان نقاتل فقط ، وانما نريد أن نحرر أمة ، وان نبنيها من جديد .. فكيف نستطيع ان نفعل هذا بجيش من الاميين الجهلة ؟

واثرت كلمات الزعيم فى نفسى فعدت الى حلقات التدريس ، ولم تلبث الغمة ان رفعت عن عينى فاذا بى أجد الأمر اســـــهل

مما كنت اتصور ... وسرعان ما تعلمت القراءة والكتابة ، حتى اصبحت مدمنا للاطلاع ، ولم يعد في وسعي في أية لحظة الاستغناء عن الكتاب أو القلم .

وفي هذه الحلقات البدائية بمعسكر غابات ماتانجكو ولدت نواة المثقفين الكوريين الذين كان عليهم فيما بعد أن يبنوا صرح الثقافة الوطنية .. فنشأت بطبيعتها ، ومنذ لحظتها الأولى ثقافة ثورية ذات تقاليد ثورية ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

واستمرت تلك الدورة الدراسية من نوفمبر ١٩٣٧ حتى مارس من العام التالى ، بينما العدو يذرع الأرض من داخل حدود كوريا حتى أقصى شمال منشوريا دون أن يعثر على أثر للثوار ، حتى كتب أكثر من تقرير يقول ان الجيش الثورى لشعب كوريا قد اندثر بأكمله تحت الثلوج ولم يعد له وجود .

حتى كان ذات صباح قارس البرد .. اذ شاهد احد رجال الحرس رجلا طاعنا فى السن يطوف حول المعسكر .. فلما سأله عن هويته زعم أنه فلاح جاء وراء نمس يريد اقتناصه .

ولم يقتنع الحارس بقول الفلاح العجوز ، ولعل شيئا ما فى سلوكه جعله يستريب ، فاقتاده الى القائد .. كيم ايل سونج ، الذى أدرك منذ اللحظة الأولى أن الفلاح العجوز ليس سوى جاسوس أرسله العدو اليابانى لرصد مكان الثوار واستطلاع تحركاتهم .

ولكن القائد كيم ايل سونج قال لرجاله : قبل ان نشك فيه يجب أن نعرف من هو .

وأوصاهم ان يحسنوا معاملة الرجل قائلا : عنـــدما نلتقى بجاسوس من طبقتنا نفسها يجب أن نفهم كيف نجح العــدو فى استدراجه حتى حوله الى جاسوس ، وعلينا أن نحاول كســبه الى صفنا حتى يعترف من تلقاء نفسـه .

وترفق به الزعيم .. فاجلسـه الى جواره مظهرا احتراما لسنه المتقدم ، وأخذ يسأله عن عيشه واحواله وعائلته ، ثم انتقـل الى صيد النمس ، وما هو أحسن الفصول لاقتناصه ، وهل يكفى هذا العمل ليدر عليه دخلا مناسبا .. الخ ..

ولم يسأله ابدا لماذا جاء ، أو اذا كانت له أية علاقة بالاعداء . وانما طلب اليه ان يستريح بضعة أيام .. واعطاه بعض الثيــاب وطلب أن يعد له ما يكفيه من طعام ودفء وفراش مناسب .

وعندما طلب الرجل أن يسمحوا له بالعودة بعد بضعة أيام ، أمر الجنرال رجاله أن يسلموا اليه بعض الزاد قبل الرحيـل هدية لأهله وعياله قائلا له :

ـ ربما تعانى من اضطهاد العدو لك عند العودة .. فماذا ستفعل لكى تكسب قوتك وقوت أولادك ؟

وهنا اغرورقت عينا الرجل بالدموع .. فاذا به يعترف مرة واحدة بالسبب الذى ارسل من أجله وبدلا من أن يكون جاسوسا للعدو أخذ يدلى للجنرال بكل ما يعرفه عن مواقع قوات العدو وتحركاته وكان للتفاصيل التى ذكرها اثر كبير فى خطط الانصار بالنســبة للمستقبل .

وأصبح الرجل العجوز مرشدا لكشافة الانصار ، وصحبهم فى اكثر من رحلة للاستكشافات ، كما صحبهم فى بعض الغــارات على مواقع الاعــداء .

وكان العدو طوال تلك المدة لا يزال يذرع الأرض بحثا عن قاعدة رجال العصابات الأساسية .. حتى استطاع أخيرا أن يصل الى مشارف المعسكر الكبير في قلب غابات ماتانجكو ، وأصبح لا مفر من مواجهته فى معركة فاصلة مكشوفة انتهت بهزيمة للعدو ، ولكنه كان يملك امدادات يمكن أن ترجح كفته ، ولذلك فقد كانت المهمة الأساسية هنا هى انقاذ القوة الضاربة لجيش الأنصار .. فأمر الجنرال احدى وحداته بسد الطريق المؤدية الى فوسونج والاغارة على اطراف الجيش المنشورى الذى كان يعمل فى خدمة اليابان ، وكان الهدف من هذه العملية تضليل اليابانيين وايهامهم أن الجيش الثورى يتجمع بالقرب من فوسونج .

ونجحت الخطة .. وتمكن الجيش الثورى من الانتقال عبر الغابات المغطاة بالثلوج الى مكان آخر يبعد نحو ٣٠ ميلا الى الشرق ، حيث واصل هناك الدورة الدراسية دون أن يشهد أثرا للعدو طوال شهر ونصف شهر .

ومع حلول الربيع ، وبدء ذوبان الجليد ، استأنف جيش الثوار هجماته ضد مواقع اليابانيين الذين كانوا فى نفس الوقت قد تورطوا أكثر مما يجب فى « حادث الصين » ومن ثم ازدادت ضراوتهم وحملاتهم الوحشية للتخلص من الانصار .

وتعرض الجيش الثورى فى تلك الفترة لسلسلة من المحن والتجارب الصعبة ، وحوصر اكثر من مرة . ولكنه فى كل مرة كان يفلت من الحصار بفضل تضحيات بطولية منقطعة النظير من رجاله . وأخيرا ، ومع نهاية عام ١٩٣٨ قرر الزعيم كيم ايل سونج ان ينتزع مرة أخرى زمام المبادرة ، فقاد قواته عبر الثلوج مرة

اخرى نحو الجنوب .. نحو مقاطعة تشانجباى ، وقد عقد العزم على نقل مسرح المعارك مرة ثانية ، وأخيرة ، الى أرض الوطن .

واستطاعت قوات العدو اقتفاء اثر الانصار الذين انهكتهم المسيرة الصعبة لمدة شهر كامل وسط الاعاصير والثلوج ومع ذلك فقد تمكن الرئيس كيم ايل سونج من الوصول بالقوة الأساسية لرجاله متبعا تكتيكا جديدا سماه «تكتيك الفراشة والدجاجة» .. الذى وصفه كما يلى :

« حينما يدور الصراع بين فراشة ودجاجة ، نجد الدجاجة الجشعة تطارد الفراشة وفى ظنها انها ستلتهمها عما قريب ، وتظل تلاحقها بلا انقطاع ، ولكن الفراشة تطير كلما أوشكت الدجاجة على الانقضاض عليها ، وتعود الدجاجة فتستأنف المطاردة بكل طاقتها حتى اذا ما اخذ التعب منها مأخذه تأتى الفراشة فتستقر على رأسها لتثيرها ، فتعود الدجاجة مرة أخرى الى استئناف مطاردتها ، وهكذا ، يستمر الأمر طوال اليوم الى ان تستدرج الفراشة الدجاجة الى حافة هاوية فتسقط ، وهكذا ، تهزم الفراشة الدجاجة . »

والواقع أن هذه المطاردة عبر ثلوج الشتاء كانت على العدو أشد قسوة منها على الأنصار ، فقد كان الأنصار معتادين على تحمل المشاق وتسلق الجبال الوعرة والمبيت على الطوى معظم الليالى . واستطاعوا طوال المطاردة أن يحتفظوا بقوتهم ومعنوياتهم على العكس من جنود القوة التاديبية الذين كانوا يتساقطون على الجليد منهوكين فيتركهم زملاؤهم نهبا للثلوج والجوع والضياع .

وكانت هذه المسيرة تجربة أخرى زادت من صقل الثوار ؛ فقد خاضوا خلالها عشرات المعارك ، والاشتباكات ، وتعرضوا

للقصف من الجو ، كما تعرضوا للحصار بقوات تفوقهم عددا وعدة عدة مرات ، ولكنهم افلتوا فى النهاية من كماشة الاعداء ، ووصلوا الى مهد معاركهم القديمة حول جبل بايكدو ..

***

وذاب الجليد .. واقبل الربيع يحمل معه أملا جديدا ، وعزما اشد على مواصلة الكفاح من أجل تحرير البلاد .

وفى صباح ١٨ مايو عام ١٩٣٩ عبر الأنصار الحدود المنشورية للمرة الثانية الى داخل أرض وطنهم وانحدروا على سفوح المنحدرات كالسيل الجارف .. وكان من بينهم أولئك الأبطال الذين أوقدوا بيطولتهم مشعل بوتشونبو قبل ذلك بأكثر من عامين كاملين .

ودخل الثوار سلسلة من المعارك مع قوات العدو وعملائه ، واحرزوا فى منطقة موسان انتصارا كبيرا .

وقبل ان يفيق العدو من جراحه فى بوسان كانت قوات الأنصار تشن غارة أخرى فى دائرة هولونج .

ومنذ ذلك اليوم أصبح الانقضاض على مواقع ومراكز اليابانيين وعملائهم داخل الأراضى الكورية ظاهرة يومية متكررة الحدوث ، وأصبح مسرح العمليات الفدائية ممتدا من أقصى شمال منشوريا حتى منطقة الحدود داخل الأراضى الكورية .

ونترك المجال هنا لما ذكره القائد اليابانى للقوة التأديبية فى مذكراته الشخصية بعد ذلك بعدة اعوام وكان اسمه ماسانورى نوزوى :

« تتميز تكتيكات الرئيس كيم ايل سونج بذهاء غير عادى ؛ جعل كل عملياتنا التطهيرية المستمرة ليلا ونهارا بواسطة الوحدات التاديبية تبوء كلها بالفشل • »

ولكن ما هى المبادىء الأساسية لهذه التكتيكات التى ابتدعها كيم ايل سونج ، وكان لها الفضل فى سلسلة الانتصارات المتوالية ، المتصاعدة ، والتى انتهت بدخوله ظافراً مدينة بيونج يانج فى اكتـوبر ١٩٤٥ ؟

اول هذه المبادىء ، هو ابعاد أو تحييد اكبر عدد ممكن من قوات العدو ، وعزلها عن ميدان المعركة ، مع صيانة قواته الى اقصى حد ممكن .

وهذا مبدأ فى غاية الأهمية بالنسبة لحرب العصابات ، حيث تواجه الوحدات الفدائية فى العادة عدوا اقوى سلاحا واكثـر عددا عدة مرات .

ومن ثم ، فان الحساب الدقيق لكل اشتباك ، والبعد عن المغامرات الإنتحارية ـ الا اذا كانت من أجل انقاذ عدد اكبر ـ يعتبر من الشروط الأساسية للاحتفـــاظ بالقدرة على الاستمرار فى العمل الفدائى والكفاح المسلح .

وثانى هذه المبادىء هو الاستفادة باستمرار من نقاط الضعف لدى العدو ، والاحتفاظ بعنصر المبادرة ، بعد التقييم السـليم لتوازن القوى بين العدو والانصار .

وثالث هذه المبادىء ، أن تنسحب حين يهجم العدو ، وان تنقض عليه اذا تقهقر •• ومعنى ذلك ان تكون باستمرار قادرا

على سرعة الحركة ونشر القوات أو جمعها حسب ما يقتضى الحال في أقل وقت ممكن .

والمبدأ الرابع هو استخدام سلاح التضليل ، واستخدام هذا السلاح يتيح للثوار أن يوقعوا بالعدو فى الكمائن ويشتبكوا معه فى الوقت الذى يحددونه هم وليس فى الوقت الذى يريده العدو .

ومن هذه التكتيكات أيضا أن تنتشر حينما ترجح كفة العدو ، وأن تجمع اقصى ما يمكن من قوة وتنقض حينما ترجح كفتك .

وكل ذلك يجب أن يكون مصحوبا بعلاقة رفاقية كاملة الصحة بين القائد وجنوده .. بحيث يحسون جميعا بأنهم اخوة له فى أسرة واحدة ، وبحيث تكون ثقتهم كاملة فى حسن قيادته وتوفيقه وبحيث يكون هو أيضا فى مستوى المسئولية فلا يتغطرس ولا يتعالى ولا يستسلم لثورات الغضب الطفولى وفى نفس الوقت يكسب احترام مرؤسيه بالتصرف الحسن والقدوة الطيبة وليس بالصراخ والسباب والتقريع والتأديب .

ولقد اثبتت هذه التكتيكات صلاحيتها على مدى سنوات حرب العصابات ضد اليابان ، فكما تقول التقارير الرسمية لسلطات الاحتلال اليابانية ، بلغ عدد الاشتباكات بين الأنصار وقوات الاحتلال عام ١٩٣٧ فقط أكثر من ٣٩٠٠ اشتباك ، وبلغت خسائر اليابانيين فى الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٠ أكثر من ٦٠ الف ضابط وجندى .

وفى عام ١٩٣٩ جندل الثوار اكثر من ٣٠ الفا من جنود العدو واستولوا على ١١٧ مدفعا و ٣ آلاف بندقية موزر و ٢٠ الف بندقية آلية وعدد لا حصر له من القنابل وملايين الطلقات واطنان عديدة من العتاد والمهمات .

وفى هذا يقول الرئيس كيم ايل سونج نفسه فى تقريره الذى القاه فى منتصف شهر أبريل من عام ١٩٤٠ بمعسكر هوالانزو :

« ... لقد قاتلنا بشجاعة طيلة عشر سنوات ، دون أن نفكر الا فى مواطنينا الذين يقاسون ويلات الاضطهاد اليابانى داخل الوطن ، ولقد واجهنا الجبال الوعرة ، وسلسلة جبال بايكدو وقاسينا البرد فى درجة ٤٠ تحت الصفر كما تحملنا الحرارة المحرقة .. »

« وكان علينا ان نقوم خلال هذه السنوات العشر من الكفاح المسلح بمسيرات شاقة ، وكنا نقطع احيانا ما بين ٤٠ ، ٦٠ كيلو مترا فى اليوم الواحد ، اى اننا اجتزنا خلال عشر سنوات ثمانين ألف كيلومتر بمتوسط عشرين كيلومترا فى اليوم . »

« وغنى عن البيان اننا فخورون بأعمالنا الجليلة الماضية . »

« .. ومن أجل تحقيق النصر الأخير وحتى نكون نحن الذين نضحك اخيرا ، ولكى نطرد العدو الغاصب اليابانى من كوريا ومن منشوريا ، وحتى نصل الى التحرير الحقيقى واستقلال الشعبين الكورى والصينى ينبغى ان نواصل المسيرة عشرين ألف كيلو متر أخرى ، ولن يتأخر عندئذ بزوغ فجر النصر من فوق جبالنا الجميلة ، وانهار وطننا » .

وهكذا اخذ جيش الأنصار ، أو الجيش الثورى لشعب كوريا ينمو ماديا ومعنويا مع كل معركة ظافرة يخوضها بينما الاحداث فى العالم المحيط تتطور بسرعة مذهلة وتترك بصماتها على مستقبل كافة البلدان بدون استثناء .

فقد كانت الحرب العالمية الثانية قد بدات فى اوروبا منــذ سبتمبر ١٩٣٩ بانقضاض الجحافل الهتلرية على بولندا والتهامها فى بضعة عشر يوما • وبعد فترة توقف للهضم استدار هتلر الى الغرب فاحتل فرنسا وبلجيكا وهولندا بينما شريكه موسولينى يتحرش باليونان والبانيا • ثم ابتلع هتلر المجر ورومانيا وبلغاريا وغرق موسولينى حتى آذانه فى يوغوسلافيا ودفــع بجيوشه عبر الصحراء الغربية فى اتجاه الاسكندرية ودلتا نهر النيل .

كل ذلك فى الغرب بينما كان الشريك الثالث فى المحور الفاشى يستعد من جانبه لالتهام آسيا بأسرها والانقضاض على الشرق الاقصى السوفيتى منتظرا اللحظة المناسبة حينما تأتيــه اشــارة النور الأخضر من هتلر فى اللحظة التى يبدأ فيها غزوه للاتحــاد الســوفييتى من الغرب .

وحانت هذه اللحظة فى يونيو عام ١٩٤١ حينما اجتاحت اراضى أوكرانيا السوفييتية جيوش النازى ، غير أن العسكريين اليابانيين كانوا لا زالوا يعتمدون على صداقتهم التقليدية للولايات المتحــدة الامريكية ، وكانوا يقولون كثيرا على امكانية تحييــدها فى حالة انقضاضها من الشرق على الاتحاد السوفييتى .

غير ان التناقضات العدائية فى داخل المعسكر الامبــريالى ، وفزع الامبريالية الامريكية بالذات من المحور بشــــقيه الشرقى والغربى ، كل هذا جعل الامبريالية الامريكية تتردد فى ابــرام الصفقة التى طلبها اليابانيون •

وهكذا استمرت المفاوضات بين طوكيو وواشنطن عدة شهــور دون أن يصل الطرفان الى اتفاق ، حتى اذا ما ضاقت اليابان ذرعا

بمماطلة الولايات المتحدة قامت بغارتها المشهورة فى ديسمبر عام ١٩٤١ فوق قواعد الاسطول الامريكى فى بيرل هاربور ، وكان هذا ايذانا بدخول الحرب العالمية الثانية مرحلة جديدة امتدت فيها النيران الى سائر القارات الخمس ، وكان لهـا اثر بعيد فى التعجيل بتطور الاحداث بالنسبة للشرق الاقصى عامة وبالنسبة لنضال الشعب الكورى الذى نحن بصدده بنوع خاص .

غير ان الفاشية التى تصورت أن سيادتها على العالم قد اصبحت قاب قوسين أو ادنى ، والتى فتحت انتصاراتها الاولى شهيتها للقتل والتدمير ، لم تكن لتتهاون مع كفاح الشعب الكورى الذى كان يمثل شوكة سامة فى ظهرها ، ولذلك فقد تصاعدت أعمالها الارهابية وهجماتها ضد الحريات بشكل لم يسبق له مثيل من قبل .

وتعددت اشكال القمع والتنكيل ، وأخذت القوانين التى تصادر الحريات وتكبل الفكر والعقيدة وتشرع لسلب ما تبقى من ثروة الشعب الكورى تصدر تباعا .. وكل قانون اكثر تعسفا من سابقه .

ومن بين هذه القوانين على سبيل المثال قانون صدر فى عام ١٩٤١ يعطى الحكومة الحق فى سجن « كل الذين يخالفون ايديولوجيا » دون محاكمة بدعوى الحبس الاحتياطى لمدة غير محدودة ، ثم القانون القومى للامن الذى يعطى السلطات الحق فى اعتقال « المشبوهين السياسيين » ، وقانون الحفاظ على الامن العام ، والقانون المؤقت للامن الكورى .. الخ .

وتحولت مصانع كوريا كلها تقريبا الى مصانع ذخيرة ، وفى نفس الوقت ، ادى ارتفاع الضرائب العينية على المزارع الى استنزاف متصل لخصوبة الأرض .

وأصبح مجرد الحديث باللغة القومية جريمة يلقى مرتكبهـا اقسى انواع التعذيب .. وأقلها السجن بدعوى أنه « مشـبوه سـياسيا .. »

ولكن .. كما نعرف ، فان لكل فعل رد فعل ، مساو له فى المقدار ، مضاد له فى الاتجاه . وهذا قانون من قوانين الحركة نعم ، ولكنه ليس قانونا رياضيا فقط ، وانما هو قانون اجتماعى ايضا ..

ولذلك ، فان ارتفاع معدل الاضطهاد ، رفع من مسـتوى المقاومة ، وامام القمع الوحشى من جانب السلطات ، أصبحت المنظمات الثورية فى داخل كوريا أكثر حرصا على السرية وبالتالى ادق تنظيما واقوى تأثيرا ..

وفى تلك الفترة ، قبض على الاف الوطنيين ، ونفذ حـكم الإعدام فى عدد غير قليل من المناضلين . ومن الناحية الأخرى ، تزايد عدد الشباب الهاربين من وجه القمع اليابانى الى الغابات للانضمام الى صفوف الجيش الثورى .

ومرة أخرى ، حشد المحتلون جيشا قوامه نحو مائة الف جندى يابانى ، كما حشدوا ايضا الجيش المنشورى الذى لم يكن اكثر من دمية فى ايديهم ، وكل قوات البوليس فى كوريا ومنشوريا من أجـل هدف واحد .. هـو القضـاء على الجيش الثـورى والخلاص منه بضربة واحدة الى الابد .

وهنا يلجأ الرئيس كيم ايل سونج مرة ثانية الى تكتيك تشتيت القوات وتقسيم الجيش الى وحدات صغيرة مهمتها شن الغـارات على اطراف العدو وتخريب خطوط مواصلاته وتدمير مخازنه ، واشاعة الفزع والبلبلة بين صفوفه ..

ويذكر المحاربون القدامى فى الجيش الثورى قصة طريفة من قصص المطاردة فى تلك الفترة : فذات يوم كان على الوحدة التى يقودها الزعيم كيم أيل سونج بنفسه بعد انجاز احدى عملياتها ان تجتاز مسافة طويلة بين مدينتى بانشى ولاوتاكو ، بينما الطرق تعج بجنود الحملة التأديبية الذين كانوا يتشممون كالكلاب آثار رجال العصابات .

وببساطة ، تنكر الكل فى زى الجنود اليابانيين ، ووضع كيم أيل سونج على كتفه اشارة جنرال فى الجيش اليابانى ، وأوى الجميع الى منزل قائم بجوار الطريق فى انتظار الليل .

وبينما هم يستريحون ، فتح الباب فجأة بعنف شديد ، ودخل منه نحو عشرين جنديا يرتدون قبعات الجيش اليابانى .. ومدافعهم الرشاشة مشرعة على صدورهم .

ولكن الرئيس كيم أيل سونج لم يتحرك من مكانه وبنظرة خاطفة من عينيه فهمها رفاقه فتمهلوا بعد أن هبوا من فورهم استعدادا للمعركة ، وبلغة يابانية سليمة ، ولهجة آمرة متغطرسة معروفة عن الجنرالات اليابانيين سألهم ببرود :

ما هذا ؟ من أنتم ؟

وتلعثم الجنود أمام رتبة الجنرال ، فتخاذلت رشاشاتهم الى جوانبهم وأجاب قائدهم معتذرا :

ــ عفوا يا سيدى عفوا ..

ــ ادخلوا جميعا .. أمر جنرال ..

ودخل الجميع الى حجرة مجاورة حيث تم نزع سلاحهم بهدوء ودون أن يبدوا أية مقاومة .

وعاد قائدهم يقول وقد تبين انه ورجاله من أصل كورى ..

ـ انى آسف يا سيدى الجنرال ، لقد تلقينا معلومات تفيد أن وحدة من جيش العصابات بقيادة الزعيم كيم ايل سونج شوهدت فى هذه الناحية .. فارجو المغفرة .. كنت أظن ... انا لم أقصد .....

فقاطعه الجنرال :

ـ هذه المعلومات صحيحة تماما .. ووحدة جيش العصابات التى تبحثون عنها موجودة هنا بالفعل .. وفى هذه القاعة بالذات .

وكانت مفاجأة ذهل لها القائد وجنوده العزل من السلاح ..

وايقنوا أن ساعتهم قد حانت على يدى رجال الجيش الثورى الذين طالما سمعوا عنهم الأساطير وتناقلوا الروايات ..

غير أن كيم ايل سونج استطرد يتحدث اليهم متسائلا كيف يرضون لأنفسهم القيام بدور كلاب الحراسة لليابانيين ، وكيف انهم يلعقون أحذية الغاصب ويبيعون أهلهم ووطنهم بأبخس الأثمان ..

وبكى الرجال ، والتمسوا العفو ، بل وأعلن قائدهم وبضعة عشر نفرا منهم انهم أجبروا اجبارا على الانضمام للجيش التأديبى .. وانهم يفضلون أن يبقوا الى الابد مع الثوار .

ولكن لم يكن من حسن الفطنة بالطبع الاستجابة لهذا المطلب ، وأمر كيم ايل سونج بتقييدهم وحبسهم مؤقتا فى المخزن الملحق

بالمنزل ، وبعد قليل كانت الوحدة تشق طريقها خارجة من المدينة في أمان ..

ولكن لم تمض ساعات ، حتى كان سكان المدينة قد عـرفوا ان كيم أيل سونج ورجاله مروا من هنا ودبج شاعر مجهول اغنية عن ذلك لم تلبث ان أصبحت على كل الشفاه ..

الفصـــل الســـادس

وهكذا واصل الشعب الكورى نضاله بكافة الصـــور ضد الاحتلال اليابانى بهمة لا تلين .. فاذا بالبـــذرة الصغيرة التى زرعها المناضلون الأوائل فىبداية الثلاثينات تصبح بعد عشرة أعوام شجرة هائلة وارفة الظلال وتشتد جـــذورها وفروعها فى كافة ارجاء الأرض الكورية .. فعلى امتداد ثلاثة آلاف قرية ـ والقرية يسمونها هناك رى ـ وفى جميع المناجم والمصانع والمكاتب وأحياء المدن كانت الخلايا الثورية تعمل وتتسع وتعبىء الشعب كله من أجل استعادة الوطن .. من أجل الحرية والاستقلال ..

وأصبح اسم الزعيم كيم ايل ســونج هو الراية التى تلتف حولها كل آمال الشعب فى التحرر وبناء مجتمع جديد ..

وبالرغم من كل بطش المستعمرين ، كانت تعـاليم كيم ايل سونج ونداءاته تصل الى كافة المواطنين فتثير فيهم الحميـــة الوطنية وتحشد كل ذرة من كيانهم فى انتظار اليوم الموعود ..

وفى حماية الجماهير الشعبية كان رسل كيم ايل ســونج يروحون ويغدون ، وكان عمل الخلايا ينتقل من السرية المطلقة الى شكل يكاد يكون علنيا .. وأصبح المناضـــلون قادة بارزين بين اهليهم ومواطنيهم ، يتطلع الكل اليهـــم فى كل أزمة باعتبارهم رسل الحرية وحملة رايات الدفاع عن الشعب .

وكانت القدوة التى يضربها هؤلاء فى التفانى من اجل الثـورة ، وانكار الذات ، والتطوع باستمرار لخدمة الأهالى ، والتصـــدى

دائما لمحاولات البطش والعدوان سواء من جانب سلطات الاحتلال او من جانب العملاء الاقطاعيين ، هي العامـل الأسـاسى الذى يجذب اليهم افئدة الجماهير ويجعلهم محط الانظار ، ويجعـل الجماهير من جانبها مندفعة طواعية الى حمايتهم والتستر عليهم ومساعدتهم بكل محبة واعزاز من اجل انجاز مهامهم الثورية على اكمل الوجوه ..

كل هذا ، بينما كانت الحرب فى الشرق والغرب تتطور بسرعة مذهلة دافعة معها بتطور الاحداث فى كل مكان ..

فمع بداية ١٩٤٣ ، بدأ المد النازى فى الانحسـار ، وكانت الهزيمة الساحقة التى لحقت به فى ستالينجراد ، والتى أسفرت عن وقوع نصف مليون جندى نازى فى الاسر هى علامة التحول فى الحرب العالمية الثانية ، ذلك ان الهجوم المضـاد الذى بدأته القوات السوفيتية فى ستالينجراد لم يتوقف منذ ذلك الحين الا بعد سقوط برلين ذاتها ، واستسلام المانيا النازية بلا قيد أو شرط فى مايو عام ١٩٤٥ ...

وكان سقوط المانيا النـازية يعنى من الناحية الاخرى ان اندحار العسكرية اليـابانية فى الشرق الاقصى قد أصبح حتما مقضيا لا سبيل الى تلافيه .

وهكذا اقتربت الحرب من نهايتها ، وأصبح واضحـا أن الوضع العالمى فى صالح الثورة الكورية . وعادت الكلمات الطافحة بالأمل التى صاغها بيان بوتشونبو عام ١٩٣٧ تضىء ، لا باعتبارها مجرد امنيات أو مطالب ، وانما باعتبارها واقعا محتوما لن يلبث ان يتحقق عن قريب ..

وبدات المرحلة الاخيرة من معركة الاستقلال مع إعلان الاتحاد السوفيتي الحرب على اليابان فى الثامن من اغسطس عام ١٩٤٥ .

وكان الجيش الثورى للشعب الكورى فى نفس الحين مستعدا كامل الاستعداد للتطور الجديد ، فاندفعت وحداته المقاتلة جنبا الى جنب مع القوات السوفيتية فى سلسلة من العمليات العسكرية الهجومية عبر منشوريا الشرقية فى اتجاه السواحل الشرقية لكوريا ....

وفى أيام قليلة انهار خط الدفاع الحصين الذى اقامه اليابانيون على طول السواحل .. بينما تقدمت القوات الكورية لتعبر نهر آمروك .. يتقدمها نفس الأبطال الذين عبروا من قبل فى موقعتى بوتشونبو وموسان ...

ولكن شتان بين عبور وعبور ...

فى المرتين السابقتين .. كان المناضلون المسلحون ينجزون مهمتهم ويعودون ، أما فى هذه المرة ، فقد عبروا ليواصلوا الزحف قدما الى الامام .. من أجل تطهير كل كوريا .. من اجل انزال الضربة القاضية بالعدو واعلان قيام الجمهورية الكورية ..

ولقد قاتل الجيش الثورى للشعب الكورى الى جوار القوات السوفيتية ببطولة لا مثيل لها .. وخاض العديد من المعارك ، وكان دائما في طليعة الهجوم ، وتحمل الكثير من التضحيات ، وخسر فى هذه الفترة الوجيزة عددا من خيرة مناضليه .. فقد كان العدو الياباني ، وهو فى النزع الأخير يحارب بضراوة بالغة العنف ، تحت شعار القتال حتى آخر جندى ...

غير أن قوات الجيش الثوري للشعب الكوري والقوات السوفيتية كانت تتقدم باستمرار كأنها أمواج من الغضب ساحقة مقاومة العدو حيثما كان ..

ومع دخان قنبلتي هيروشيما ونجازاكي .. اعلنت اليابان استسلامها بلا قيد أو شرط يوم ١٥ اغسطس ١٩٤٥ .

وأسدلت الحرب العالمية الثانية ستارها الأخير ..

وتراجعت فلول الجيوش اليابانية الموجودة عبر مضيق هيونجهاتيان بعد ٣٦ سنة حولت فيها حياة الشعب الكوري الى ما هو دون عبودية الخجم .

* * *

وفي يوم ١٤ اكتوبر ١٩٤٥ استقبلت مدينة بيونج يانج بطل التحرير كيم ايل سونج باحتفال منقطع النظير ، حيث تجمع في استاد المدينة الرياضي أكثر من مائة وخمسين ألف رجل وفتاة من أهل المدينة حاملين الرايات والبيارق والزهور والدفوف . هاتفين من الاعماق بحياة الزعيم الذي حول الحلم الى حقيقة واعاد اليهم وطنهم السليب ...

وألقى الرئيس كيم ايل سونج كلمته التي جاء فيها :

ــ « ... لقد حان الوقت لنا نحن الكوريين لنجمع قوانا ولنتقدم سويا من أجل بناء وطن ديمقراطي جديد » .

« ان حزبا بمفرده أو رجلا بمفرده لا يمكن أن ينجز هذه الرسالة الكبرى ، فعلى الأقوياء أن يعطوا قوتهم وعلى المثقفين أن يعطوا معارفهم وعلى الأثرياء أن يعطوا أموالهم .. وعلى كل الذين

يحبون بلادهم والشعب والديمقراطية ان يتحدوا فى كل واحد ليجعلوا وطننا دولة مستقلة ديمقراطية » .

وكان الزعيم كيم ايل سونج قد قضى الفترة منذ اعلان استسلام اليابان حتى أكتوبر ١٩٤٥ ، وهو يطوف بالمناطق المختلفة شارحا خط الثورة ، وداعيا الى تأسيس حزب جديد يجمع فى طياته أفضل المناضلين وأشرف تقاليد النضال من أجل بناء الوطن الكورى .

هذا بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقدم من جانبها على احتلال النصف الجنوبى من شبه جزيرة كوريا لتحول دون وصول المد الثورى اليه .

وقبل اجتماع الاستاد الرياضى لمدينة بيونج يانج بأربعة أيام ، أعلن تأسيس الحزب الشيوعى الكورى ، كما اعلن برنامجه الفورى ذى الأربع نقاط ، ودعى جميع المواطنين الى ضم صفوفهم من أجل تنفيذه ...

وكانت هذه النقاط الأربع كما يلى :

« ١ - جمع شمل القوى الوطنية الديمقراطية العريضة بتشكيل جبهة قومية ديمقراطية متحدة تضم سائر الاحزاب والجماعات السياسية الوطنية والديمقراطية ، والعمل على هذا الاساس لتأسيس الجمهورية الديمقراطية الشعبية التى من شأنها أن تضمن استقلالنا الوطنى وسيادتنا الكاملين . »

« ٢ - ازالة بقايا القوى الامبريالية اليابانية وعملاء الرجعية العالمية وسائر العناصر الرجعية بأسرع ما يمكن ، باعتبار هؤلاء

هم الذين يشكلون أعظم عقبة تعترض سبيل بناء الدولة الديمقراطية ومما يسهل سير أمتنا فى طريق التطور الديمقراطى ٠»

« ٣ ـ ارساء الأساس لبناء دولة ديمقراطية مستقلة ، وذلك بالشروع بادىء ذى بدء فى تنظيم اللجان الشعبية فى جميع المناطق ، باعتبارها سلطة شعبية حقيقية ، توطئة لاقامة حكومة ديمقراطية مؤقتة موحدة لكل كوريا ، وعن طريق انجاز سائر الاصلاحات الديمقراطية ٠ وتجديد المصانع والمنشئات والاقتصاد الوطنى بشكل عام بعد ما دمره الامبرياليون اليابانيون ، وعن طريق رفع مستوى الشعب المادى والثقافى ٠ »

« ٤ ـ المضى فى توسيع الحزب وتوطيده ، ودفع عمل المنظمات الجماهيرية بعزم الى الأمام بهدف تنظيم سائر فئات الجماهير وتجميعها حول الحزب لتحقيق كافة هذه المبادىء » .

والى جوار الحزب ، ومن أجل تعبئة الشباب وحشده لمعركة البناء ، تم تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطى فى ١٧ يناير ١٩٤٦ كما تم ضم كافة الأحزاب الوطنية التى أثبتت وجودها أثناء حركة المقاومة ضد اليابان فى جبهة وطنية ديمقراطية واحدة ..

وبالطبع لم يكن هذا عملا سهلا وانما تعرض مثلما كان متوقعا للعديد من محاولات التخريب من اليمين ومن اليسار على حد سواء ، ولكن العجلة سارت بنجاح ، وأمكن فى الوقت المناسب الحاق الهزيمة بالانتهازيين من الجانبين ..

وبتكوين اللجان الشعبية المنتخبة فى جميع أرجاء كوريا الشمالية تم تحطيم جهاز الدولة القديم ، وانتقلت السلطة الى

هؤلاء ، وبشكل هرمى الى اللجنة الشعبية المؤقتة لكوريا الشمالية التى انتخبت الزعيم كيم ايل سونج رئيسا لها ...

وهكذا شهدث كوريا الشمالية سلطة شعبية من نوع جديد تماما .. سلطة ليس فيها شيء من الزخارف والابهة الفارغة والسعى وراء المظاهر الكاذبة .. سلطة ليس لأصحابها أية امتيازات مادية أو أدبية ، ولا يعيش أربابها فى ملكوت خارج الجماهير الشعبية وانما هم منها وفى قلبها يقاسمونها دائما كل مشاكلها وأفراحها وأتراحها ...

وبمجرد تأسيس اللجنة الشعبية المؤقتة لكوريا الشمالية أصدرت على الفور برنامجا للمهام الفورية من ١١ نقطة ومنهاجا سياسيا من ٢٠ نقطة ، تجسد فيهما الخط السياسى للحزب ، كما تحددت مهام السلطة الشعبية .

وتضمنت نقاط المهام والمنهاج تطهير بقايا الامبريالية اليابانية والعادات الاقطاعية واستئصال شأفتها من سائر مجالات الحياة الاجتماعية ، وضمان الحرية والحقوق الديمقراطية وتوطيد بنيان هيئات السلطة عن طريق الانتخاب الديمقراطى ، وتطبيق الاصلاح الزراعى ، وتأميم الصناعات والأخذ بنظام التعليم الاجبارى المجانى للجميع ، وانشاء النظام التربوى الشعبى وضمان تطوير العلوم والثقافة والفنون والخدمات الصحية بواسطة الدولة .

وهكذا ، كان المنهاج ذو العشرين نقطة فى حقيقته برنامجا شاملا للثورة الديمقراطية ضد الامبريالية والاقطاع ، وتطويرا لبرنامج جمعية استعادة الوطن ذى العشر نقاط الذى وضع منذ أكثر من عشر سنوات .

وكانت مشـــكلة الأرض والفلاحين فى مقـــدمة المشاكل التى ينبغى للسلطة الجديدة أن تجد لها حلا سريعا ، فالفلاحون هم الأغلبية الساحقة ، وهم الذين تحملوا طـوال السنوات الماضية اكثر من أية فئة أخرى أبشع مظالم الاحتلال والاستغلال .. كما أن وضع النصف الجنوبى تحت سيطرة الامبريالية الامريكية التى لاتجد سندا لها أقوى وأخلص من الاقطاعيين كان يتطلب حرمان هؤلاء من أى موطىء قدم لهم فى الشمال فضلا عن أهمية تحـرير الفلاحين من اغلال الاستغـــلال الاقطاعى من أجل استنهاض حميتهم ورفع مستوى مشاركتهم فى العمل السياسى وتدعيـــم الأسس السياسية والاجتماعية لتعـزيز الديمقراطية فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فى البلاد .

وكان تنفيـذ الاصـــلاح الزراعى بأسرع وقت هو السبيل الوحيد الى اطلاق قوى وملكات الفـلاحين وانمائهـــا بسرعة ، وكذلك توفير القاعدة المادية لانشاء وتجـديد الصناعة وتوفير ما يلزم كثيرا من فروعها من المواد الخام الزراعية ..

وكان من السهل أن تجد السلطة الشعبية حـــلا للمشكلة الزراعية فى الكتب ، أو فى تجارب الأمم السابقة الى طريق التطور الاشتراكى ، لكن الرئيس كيم ايل سونج رفض فكرة النقل ونزل بنفسه وبكوادر الحزب وسط الفلاحين يدرس المشـكلة والحل على الطبيعة ويناقش الفلاحين الفقراء فى مزايا وعيوب كل حل يطرح للجدال ...

وانتصر فى النهاية شعار « الأرض لمن يفلحها » .. وعـلى اساسه صدر قانون الاصلاح الزراعى فى ٥ مارس ١٩٤٦ .

ورغم المقاومة الشرسة من كبار الملاك وسائر الفئات الرجعية ، والمساعدات التى تلقاها هؤلاء من جانب الامبرياليين الامريكيين فى الجنوب ، تم انجاز الاصلاح الزراعى على أتم وجه فى زمن وجيز جدا لا يتجاوز العشرين يوما ..

وتكونت جمعيات تعاونية للزراعيين حتى يتيسر لهم الاستفادة من امكانيات التجميع الزراعى وفى مقدمتها ميكنة الزراعة ..

وبعد خمسة أيام فقط من صدور قانون الاصلاح الزراعى صدر فى العاشر من اغسطس سنة ١٩٤٦ قانون تأميم الصناعات ، وبمقتضاه انتقلت ملكية سائر المنشئات والمؤسسات الصناعية التى كانت مملوكة لليابانيين والرأسماليين الكومبرأدوريين الى الشعب ، وظهرت الى الوجود علاقات الانتاج الاشتراكية ، ودخل الاقتصاد الوطنى فى طور التخطيط ، وأصبحت الطبقة العاملة هى سيدة وسائل الانتاج ..

وصدر قانون العمل ، وتقررت المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، بغية ضمان الحرية والحقوق الديمقراطية الكاملة للكادحين ، كما صدرت القوانين التى تكفل الديمقراطية الكاملة فى القضاء والتربية والتعليم .

وأقيمت مدارس الكادر فى كل مكان بهدف تربية جيل جديد من ابناء الفلاحين والعمال .. جيل قادر على ادارة وتيسير اجهزة الدولة وعجلة الاقتصاد ؛ ولديه الملاكات التى تمكنه من تأسيس وتنمية ثقافة وطنية مطردة النمو .

وهبت في جميع أنحاء ـ النصف الشمالي من كوريا حركة بالغة الحماسة من أجل محو الامية وتمكنت في بحر شهور قليلة من محو الامية الى الأبد ..

واستنهضت القيادة همم الشعب للمشاركة الجماهيرية في بناء صرح الوطن الجديد ..

وأصبح من الظواهر العادية في حياة الشعب أن ترى الزعيم كيم ايل سونج بنفسه ، وكذا وزراء الدولة وكبار المسئولين في الحزب والحكومة ، حتى المتقدمين في السن منهم يحملون الفئوس على ظهورهم ويشتغلون بأيديهم يوما واحدا في الاسبوع على الاقل في مواقع بناء المصانع والمنشآت الجديدة ..

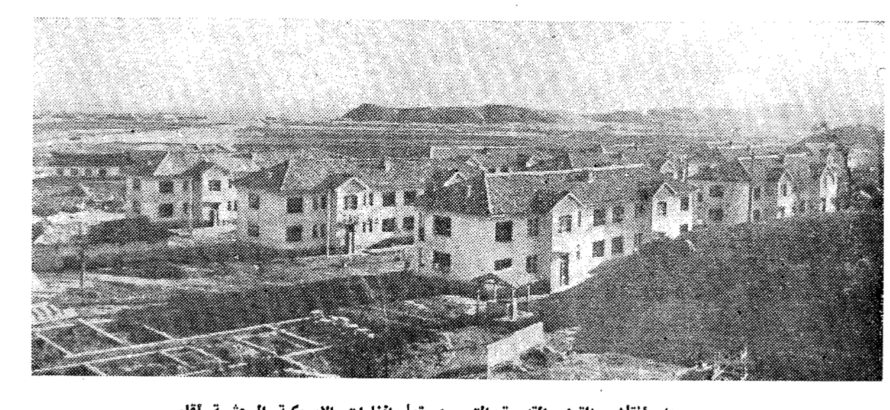
وكانت مهمة البناء ذات شقين ..

الأول تجديد وتعمير كل ما خـربه اليابانيون ودمرته أيام الحرب .

والثاني بناء مصانع ومعامل ومؤسسات جديدة متطـورة بحيث يمكن معها تحويل كوريا الى بلد صناعي زراعي منتج ..

وفي عام ١٩٤٦ وحده تم بناء وتجديد ٨٢٢ مصنعا ، منهـا مجمع للسماد في هونكنام ، وآخر للحديد والصلب في هوانجهاي . كما أعيد تشغيل جميع المناجم التي خربها اليابانيون ، وبدأ الهيكل الاقتصادي لكوريا الشمالية يتخذ الشكل الاشتراكي المتقدم .

وفي مجال الزراعة ، حقق عام ١٩٤٦ أرقاما قياسـية في جميع المحاصيل لم يسبق لها مثيل في تاريخ الزراعة الكورية ، واقيمت عشرات مشاريع الري والاستصلاح ، كما شملت الشعب بأسره حركة ناجحة لاقامة السدود على ضفاف الأنهار ..



على أنقاض القرى القديمة التى دمرتها الغارات الامريكية الوحشية أقام الشعب الكورى قرى حديثة مزودة بوسائل الحياة الطيبة للفلاحين ٠

وعلى الصعيد السياسى ، تم اندماج الحزب الشيوعى الكورى مع حزب الديمقراطية الجديدة فى اغسطس من نفس العام ، فى حزب واحد هو حزب العمل الكورى الذى تحمل منذ ذلك الحين مسئولية اعادة بناء كوريا الجديدة .

وفى فبراير ١٩٤٧ ، أجريت الانتخابات العامة ، وتم على ساسها تأسيس اللجنة الشعبية لكوريا الشمالية ، وكيم ايل سونج رئيسا لها .

وعلى أساس مبدأ « الجوتشى » الذى سيأتى الحديث عنه بالتفصيل فيما بعد ، تم انجاز الخطة الاقتصادية لعام ١٩٤٧ ثم لعام ١٩٤٨ بنجاح مذهل ، وزاد الانتاج عن الأهداف المقررة فى الخطة بنسب تتراوح بين ١٠٪ و ٢٥٪ فى مختلف القطاعات ، وذلك بالرغم من الصعوبات الجمة القائمة حينذاك ، ومن أهمها عدم التوازن المتخلف عن العهد الاستعمارى والنزيف الحاد فى موارد الثروات الطبيعية أبان الحكم اليابانى ، والدمار الشديد الذى ألحقوه بما تبقى من المصانع الكورية قبل انسحابهم مدحورين فضلا عن حملات التشويه والتخريب القادمة من الجنوب حيث الامريكيون قد بسطوا سيطرتهم وما زالوا يدبرون الخطط لمد سيطرتهم الى الشمال .

وفى هذا يقول الرفيق كيم ايل سونج :

« ... لم نتسلم من الامبريالية اليابانية سوى المصانع المخربة ، ووسائل النقل الممزقة الأوصال والزراعة المدمرة ، والخزينة الخاوية الا من دفتر الحسابات . تعوزنا اشياء كثيرة ، وتحف بنا مصاعب جمة اننا نكافح الآن لبناء البلد الجديد فى

ظروف شديدة العسر ؛ بينما نحمل فوق اكتافنا مصير الأمة كلها . ولذلك يتعين علينا أن ننتج ما ليس لدينا ، وأن نصبر على النقص ، وان نقتحم كل الصعاب باسنان صريرة » .

وقبل أن نخوض طويلا في تفسير وشرح فكرة الجوتشى نود ان نقول عنها باختصار أنها تفترض الاعتماد على الذات أولا واخيرا .

وفى هذا يقول أيضا الرفيق كيم ايل سونج :

« ... ان الاعتماد على الذات موقف ثورى شامل لدى الشعب من أجل تحقيق الثورة فى بلده ، حيث يعتمد على قواه الذاتية من حيث الأساس ، انه موقف مستقل من أجل بناء بلده بعمله هو ، وبموارده الطبيعية المحلية » .

وعلى أساس فكرة الجوتشى تم تنفيذ خطة الاقتصاد الوطنى لعامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ فى أساسها قبل موعدها بنحو ستة شهور كاملة ، وأمكن تجاوز مستوى ما قبل التحرر فى معظم فروع الانتاج .

ومع نهاية الخطة الأخيرة كان قطاع الدولة يزيد على ٩٠٪ من الصناعة ، وكان النصف الشمالى من كوريا قبل التحرير يعتمد على الجنوب فى معظم ضرورياته الزراعية ، ولكنه أصبح الآن — فى ١٩٤٩ — ١٩٥٠ يكفى نفسه بنفسه ، واقيمت فى أماكن متفرقة محطات لتأجير الالات والجرارات للمزارع التعاونية ، كما أقيمت مزارع دولة لتربية الماشية والدواجن على أحدث الأساليب العلمية .

وفى مجال الفنون والثقافة ، استلهم المثقفون ورجال الأدب والفن التقاليد الثورية العريقة التى نشأت فى أعماق الغابات

لدى وحدات الجيش الثورى وظهرت تباشير ثقافة وطنية أصيلة كان ولا يزال لهـا دور كبير فى صياغة البناء الفكرى للمـواطن الكورى الجديد .. ومع محو الامية تفتحت فرص عظيمة لازدهار الفنون والآداب ففى كل مصنع ، وفى كل قرية تعاونية أو منشأة عامة ، تجد فرقا للموسيقى والرقص الشعبى والتمثيل ، كما تجد جماعات أدبية وأخرى للفنون التشكيلية .. وحتى المدارس الابتدائية لا تخلوا من هذه الجماعات ، بل ان هـذه الجماعات الفنية والأدبية والدراسات المتصلة بها تعتبر أركانا أساسية فى التعليم العام ..

وبالمناسبة فان التعليم العـام فى كوريا يقوم أساسا على الجانب العملى والفنى اكثر منـه على الجانب النظرى . ففى المدارس الابتدائية يقضى التـلاميذ فى قاعات الأشغال المعدنية والعلمية والتكنولوجية أوقات اكثر مما يقضونه فى الاستماع الى محاضرات التاريخ والكيمياء النظرية .

والهوايات ، خاصة بالنسبة لتلاميذ المدارس الابتدائية ، تنظم على أساس علمى متطور جدا ، وعلى أساس خلق جيل جـديد متعدد الامكانيات .. ففى قصور الأطفال التى لا تخلو منها أية مدينة يتعلم الأطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم الرابعـة عشر كل مايمكن تصوره من فنون عملية وعلمية ، ابتـداء من فك وتركيب الأسلحة المعقدة ، وأجهزة التليفـزيون والرادار ، الى قيادة الطائرات وسيارات النقل ، ومن الغناء الشعبى الى رقص البالية ، ومن الضرب على الدفوف واجهـزة الايقـاع البسيطة البدائية الى العزف على الارغن والجيتار الكهربائى ..

والى جانب كل هذا ، يقضى التلميذ ساعة من وقته كل يوم فى قاعة « الايديولوجية » حيث يدرس الفكر الاشتراكى العلمى وتعاليم الزعيم كيم ايل سونج ..

يحيط بقاعة « الايديولوجية » هالة من التبجيل ، حتى لا يكاد يسمح لك بدخولها الا اذا خلعت نعليك خارجها .

وحتى لا يستطرد بنا الحديث بعيدا ، نعود الى منجزات الثورة فى السنوات القليلة التى تلت اعلان الاستقلال فنقول انه الى جوار ما تم فى ميادين الاقتصاد والثقافة كان لا بد من الالتفات الى بناء القوات المسلحة خاصة وان الامريكيين فى الجنوب كانوا لا يكفون عن التحرش وبدت اغراضهم ومطامعهم فى الشمال تسفر عن نفسها فى غير خفاء ..

وتأسس الجيش الشعبى الكورى فى فبراير ١٩٤٨ ، متخذا عموده الفقرى من تلك النواة الصلبة شديدة المراس التى تكونت وصقلت خلال المعارك المجيدة لجيش حرب العصابات ضد اليابانيين .

وروعى عند تأسيس الجيش الشعبى قاعدتان :

الأولى ان يكون تكوينه الأساسى من ابناء وبنات العمال والفلاحين ، أصحاب المصلحة الحقيقية فى النظام الاشتراكى الذى يعتبر الدفاع عنه هو المهمة الأولى والأساسية للجيش ..

والثانية ، تسليح كوادر الجيش ، ليس فقط بالسلاح الحديث والفنون العسكرية والتقاليد النضالية العريقة ، وانما أيضا بالوعى السياسى المتقدم ، الذى ــ كما يقول الزعيم كيم ايل سونج ــ يجعل الواحد يساوى مائة .

وكانت النتيجة أن أصبح لدى كوريا الشمالية جيش شعبى متين الأركان ، ينتظمه ويوحده خط فكـــرى واحد ، ومخلص اخلاصا لا حد له للوطن وللزعيم ، ويتميز بالتلاحم الرفاقى الوطيد بين الضباط والجنود وبينه وبين الشعب ككل ..

بل ان نتيجة هذا كانت ان الشعب كله أصبح جيشـا واحدا كأنما هو حربة ، تقوم منها القوات المسلحة مقام ائرأس المسنن الصلب .

وكان من نتيجة هذه الانجازات الباهرة في النصف الشمالى من كوريا أن بات النصف الجنوبى يغلى بالحقـد ضد المحتلين الامريكيين وضد عملائهم فى الحـــكم الذين استأثروا لأنفسهـم بثمرات الاستقلال عن اليابان والذين اثبتوا عجز نظامهـــم عن تحقيق انتصارات تشبـــه تلك التى تحققت فى الشمال ، كما اقاموا حاجزا منيعا يحول دون تحقيق الوحـدة الطبيعية بين أبناء الوطن الواحد .

وتجلى انجذاب أهل الجنوب الى المنجزات الهائلة التى تتم فى الشمال على شكل انتفاضة عارمة شملت النصف الجنوبى من البلاد من اقصاه الى اقصاه فى خريف ١٩٤٦ ، مطالبة بجـــلاء الامريكيين وتطبيق الاصـــلاحات الاجتماعيـــة التى أجريت فى الشمال ، وتحقيق الوحدة بين شطرى الوطن الكورى .

وأمام المد الثورى الصاعد فى كوريا الجنوبية لجأت الولايات المتحـــدة الى منظمة الامم المتحـــدة فى اكتوبر ١٩٤٧ ، حيث استصدرت قرارا بتشكيل بعثة مؤقتـــة مهمتها الاشراف على اجراء انتخابات فى كوريا ، وكان واضحـــا منذ اللحظة الأولى أن

الولايات المتحدة انما تهدف الى اقامة حـــكومة منفصلة للنصف الجنوبى تكون موالية لها ..

وفى ابريل عام ١٩٤٨ ، انعقد فى بيونج يانج مؤتمر استشارى ضم ممثلى كافة الأحـــزاب السياسية والمنظمات الجماهيرية فى شطرى كوريا الشمالى والجنوبى ، وأعلن المؤتمر الرفض الحاسم لفكرة الانتخابات المنفصلة ، وطالب باقامة حكومة مركزية موحدة على أساس مستقل وديمقراطى .

ولكن السلطات الامريكية رفضت الاصغـــاء الى هذا المطلب الطبيعى ، وأجرت فى مايو من نفس العام انتخابات صـــورية لم يشترك فيها اكثر من ١٢٪ من مجموع الناخبين ، واسفرت عن تشكيل حكومة من الحزب الوحيد الذى لم يشترك فى مؤتمر بيونج يانج ، وهو حزب سنجمان رى .

ومع ذلك ، ورغم أنف كل ما اتخذته السلطات الامريكية من اجراءات القمع والارهاب ، فقد شارك عدد كبير من مواطنى كوريا الجنوبية فى الانتخابات التى دعت اليها اللجنـــة الشعبية فى اغسطس ١٩٤٨ لتكوين حكومة حقيقية للشعب الكورى ، وانتخب الزعيم كيم ايل سونج نائبا فى المجلس الشعبى الأعلى بتأييد منقطع النظير .

وفى سبتمبر التالى مباشرة انعقد المجلس الشعبى الأعلى فأقر دستور جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، وشكل أول حكومة لها ، وعين الزعيم كيم ايل سونج رئيسا لمجلس الوزراء .

* * *

وهنا ، اسفر الامريكيون عن وجههم بغير حيـــاء فرفضوا الاعتراف بهذه الانتخابات ، وبدلا من ذلك ، شددوا حملة الارهاب ضد العناصر الوطنية والتقدمية فى كوريا الجنوبية ، واعملوا فيهم يد التنكيل . وتعددت أحكام الاعدام والسجن لمدد طويلة ، وفى نفس الوقت تعددت اعمال التحرش والاستفزاز عبر خط عرض ٣٨

وبات واضحا ان الولايات المتحــدة قد قررت ان تحل المشكلة على طريقة رعاة البقر .. اى بخد السلاح .

وكما تبين فيما بعد فى مذكرات كل من اتشيسون وترومان فان البنتاجون الامريكى وهو يحضر للتدخل المسلح فى كوريا كان يتصور ان الامر لن يعدو بضعة أيام ، وتخر كوريا كلها ساجدة تلتمس الرحمة والغفران من السيد الامريكى المنتصر ..

وكيف لكوريا .. بل لنصف كوريا ، الدولة الصغيرة الفتية التى لم تكد تفيق بعد من قسوة الاستنزاف اليابانى لثرواتهـا وطاقاتها ، كيف لها ان تتصدى للولايات المتحدة الامريكية . أقوى وأغنى دولة فى العالم كما يقولون ويتصورون ؟

كيف تستطيع كوريا ان تصمد اياما معدودات ، أمام دولة تملك القنبلة الذرية وتزعم لنفسها الحق فى بسط سيادتها على العالمين ؟

ومن المؤكد ، ان حكومة الولايا تالمتحدة الامريكية كانت تضع فى حسابها كيف انهارت الامبراطورية اليابانية بكل قوتهـا وجبروتها بمجرد القاء قنبلتى هيروشيما ونجازاكى ..

ولكن تقديرات البنتاجون كان ينقصها عنصر هام ..

ذلك هو ان الولايات المتحدة ، وهى تحـارب اليابان على سبيل المثال ، كانت الحرب بينهما عبارة عن جيش فى مواجهة جيش ، وقوة عسكرية فى مواجهة قوة عسكرية ، ومن ثم فقد كان طبيعيا ان تصبح الغلبة للاقوى ..

اما وهى تحاول ان تغزو كوريا .. فان الامر يختلف ، لانها هنا تواجه شعبا باكمله ..

وحكم التاريخ هنا قاطع لا سبيل الى نقضه .. فلم يدخـل قط شعب بأكمله حربا .. الا وكان هو الطـرف المنتصر فى النهاية ، مهما كانت قوة الاعداء ..

وهذه حقيقة اكدها التاريخ اكثر من مرة قبل الحرب الكورية كما يؤكدها اليوم فى فيتنام بعدها ..

ولكن الجشع الامبريالى يعمى ويصم .

* * *

وهكذا ، ارتكبت حكومة الولايات المتحدة اكبر غلطة حتى حينذاك فى تاريخها العدوانى ، وذلك عندما شنت هجـومها المفاجىء على النصف الشمالى من كوريا فى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ ..

ومن الغريب انها بالرغم من الثمن الفادح الذى دفعته فى هذه الغلطة لم تلبث ان كررتها بعد ذلك بخمسة عشر عاما فى فيتنام ..

ولكنه كما قلنا منذ لحظة .. الجشع الامبريالى الذى يعمى ويصم اصحابه فاذا بهم ينتقلون من مستنقع ليتـردوا فى هاوية .

وفى تلك الأيام .. وكانت الامم المتحدة لم تزل بعد فى بواكير أيامها ، استخدمت الولايات المتحدة سيطرتها على أغلبية الاصوات فقامت بالعدوان باسم المنظمة الدولية ، بل ومستعينة بقوات ١٥ دولة أخرى من دولها ..

ولكن القاعدة التى كانت قد ارسيت منذ طرد الاستعمار اليابانى كانت أصلب من أن تكسر ..

وخاصة الشعب الكورى ملحمة بطولية وائعة خرج منهـــا منتصرا بعد معركة مجيـدة ، خسرت فيها الولايات المتحـدة مئات الالوف من الارواح واطنان العتاد .. وخسرت اكثر من هذا هيبتها ..

ولم تكن كوريا وحدها هى الظافرة ..

وانما انتصرت معها كل شعوب العالم الثالث التى اثبتت لها كوريا الصغيرة ان الغول الامريكى ليس سوى غـول ككل الغيلان .. اى خرافة لا يفزع منها سوى الجبناء .

* * *

الفصــل الســابع

في سبتمبر ١٩٤٥ ، انزلت سفن الاسطول الامريكي قــوة عسكرية ضخمة على شواطىء كوريا الجنوبية بدعوى المساعدة على تطوير البلاد من المحتلين اليابانيين ، ولكن اليابانيين كانوا قد اعلنوا استسلامهم بالكامل منذ ١٥ اغسطس .. اى قبل ذلك بنحو شهر وعادوا بالفعل مدحورين ، أما الامريكيون ، فمنذ وضعوا اقدامهم هناك لازالوا مقيمين ..

والواقع ان نواياهم في تحويل كوريا الجنوبية الى مستعمرة خالصة لهم ، وجسر للوثوب الى الشمال ، والى الصين ، مـا لبثت ان كشفت عن نفسها منذ اللحظة الاولى ..

ولنتأمل مثلا البيان الذى افتتح به القائد العام للقــوات الامريكية بالمحيط الهادى عهده في الجزء الذى احتلته قواته من ارض كوريا ، حيث يقول :

« استنادا الى السلطات المخولة الى باعتبارى القائد العام للقوات الامريكية بالمحيط الهادى فانى بهذه الصفة أقيم حكمـــا عسكريا فوق الاراضى الكورية الواقعة جنوبى خط عرض ٣٨ والاهالى المقيمين بها ، وأعلن شروط الاحتلال التالية : »

« كافة سلطات الحكومة فوق الاراضى الكورية جنوبى خط عرض ٣٨ ومن عليها من أهالى ستمارس حاليا تحت مسئوليتى . »

« على جميع الاشخاص اطاعة اوامرى والاوامر الصادرة حت مسئوليتى بلا تردد ، وأى عمل من اعمال المقاومة لقوات لاحتلال ، أو أية اعمال تهدد الامن العام والنظام سيعاقب عليها شــدة . »

« فى اثناء فترة الحكم العسكرى ، تكون اللغة الانجليزية ى اللغة الرسمية بالنسبة لجميع الاغراض .. »

وفى ظل الحكم العسكرى ، اخذت الســلطات الامريكيــة لحــاكمة تنزل كل انواع التنــكيل والاضـــطهاد بالمنظمات الشخصيات الوطنية والديمقراطية ، وسحقتها سحقا ، بينما تخمت جيوب القوى الرجعية وعززت مراكزها لتتخذ منها مطايا تحقيق اغراضها فى المستقبل .

ومن ناحية اخرى ، حول الحكم العســكرى اقتصاد كوريا الجنوبية الى ملحق تابع للاقتصاد الامريكى مباشرة ، مراعيا فى فس الوقت عدم السماح بوجود صناعة وطنية نامية .

واعتمد الحكم العسكرى الامريكى بالكامل على نفس جهاز احكومة الذى اقامته الامبريالية الامريكية سواء على المستوى المركزى أو المحلى ، مستخدما نفس اجهزة البـــوليس السياسى ودوائر الامن السرية التى تربت وسمنت تحت الحكم اليابانى ..

وبالاضافة الى ذلك ، احتضن الحكم العسكرى الامريكى فلول الرجعيين والاقطاعيين الهاربين من وجه الثورة فى الشمال ، وأعاد العمل بالقوانين الفاشيستية المعادية للحريات التى فرضت اثناء الاحتلال اليابانى ، وأضاف اليها مزيدا من القوانين المكبلة للحريات الشعبية من جانب ، والتى تسمح للمستغلين بمضـاعفة حجم

استغلالهم من الجانب الآخر .. فارضا على كوريا الجنوبية نمطا أكثر تخلفا من الاسلوب الامريكى فى الحياة .

وبسرعة ، وكما حدث فى اليابان ، اخذ الحكم العسكرى يعمل كل ما يستطيع مستندا الى سلطاته الاستثنائية من أجل طمس معالم الوطنية الكورية والثقافة الكورية واشاعة البدع الامريكية التى تتناقض مع اخلاقيات الكوريين وتقاليدهم ..

وفى نفس الوقت ، شنت أجهزة الحكم العسكرى حملة بربرية ضد كافة الاحزاب والمنظمات الجماهيرية وبالذات ضد اللجان الشعبية وفروع الحزب الشيوعى الكورى ، واعادت البلاد الى نفسه الجو الفاشى الذى عرفته فى أحلك ايام القهر اليابانى ..

ووضع الحكم العسكرى يده على ٨٠٪ من ممتلكات المصانع والمناجم والمزارع الكبيرة بدعوى انها ممتلكات « العدو » وسلمها الى الشركات الامريكية القديمة او الى شركات جديدة انشئت خصيصا لاستغلال ثروات كوريا ، مع الاستعانة بالطبع بفئات الكومبرادور الذين هم دائما على استعداد للتعامل مع أى سيد ، والذين كانوا بالامس يخدمون اليابانيين وانقلبوا اليوم فى خدمة راس المال الامريكى .

وتحت الحكم العسكرى الامريكى ، وتحت ضباط امريكيين انشىء جيش امريكى السلاح والتدريب والولاء ، كما انشئت خاصة تتبع القيادة الامريكية مباشرة ، وقوة ثالثة باسم الملبشيا .. وارتفع عدد رجال البوليس والامن الى ٥٠ الف جندى مجهزين بأحدث وسائل قمع الجماهير وضرب المظاهرات والتجسس على الجماعات والافراد .

ومن ناحية اخرى ، وضع الامريكيون ايديهم على جميع القواعد العسكرية التى اقامها الحكم اليابانى على أرض كوريا الجنوبية ، وحولوها الى قواعد امريكية خالصة .

ولقد استمر الحكم العسكرى الامريكى المباشر فى كوريا الجنوبية ثلاث سنوات ، عمل فيها الامريكيون بكل ما وسعهم من جهد من اجل « أمركة » هذا الجانب من كوريا وتكريس الانفصال ، ووضع الاساس لاستعمار امريكى طويل الاجل لهذه المنطقة ، حتى نجد رئيس أركان الجيش الامريكى يصرح فى مطلع عام ١٩٤٦ بقوله « ان كوريا الآن جزء من حدود الولايات المتحدة » .

وكان من الطبيعى ان تثير كل هذه الاعمال والتدابير ثائرة الشعب فى الجنوب ، واتخذت المقاومة الشعبية شكل المظاهرات والاضرابات الضخمة وهجمات الفدائيين ضد المواقع الامريكية ، مما الحق اضرارا فادحة بالوجود الامريكى هناك ، ولم يعد أمام الولايات المتحدة من سبيل سوى تغيير اسلوبها ، مع الاحتفاظ بكل نواياها واطماعها ، تماما مثلما يفعل التاجر اللئيم عندما تبور سلعته فيلجأ الى تغيير الغلاف ثم تقديمها للعملاء مرة اخرى باعتبارها سلعة جديدة ..

وهكذا طرحت الولايات المتحدة المسالة الكورية أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الثانية عام ١٩٤٧ ، ولما كانت حينذاك تملك اغلبية فى جهاز التصويت ، فقد استصدرت من الجمعية العامة قرار تشكيل لجنة الامم المتحدة التى اشرنا اليها من قبل ، والتى كانت مهمتها الاشراف على اجراء الانتخابات .

وفى ١٧ سبتمبر ... أى بعد يوم واحد من تقديم الاقتراح الامريكى للجمعية العامة ، كتبت مجلة « نيويورك جورنال امريكان »

ذات المصادر العليمة فى دوائر الخارجية الامريكية تقول انه لا يخفى على أحد ان هدف الولايات المتحدة من طرح المشكلة أمام الجمعية العامة « انما هو التمكن من اقامة حكومة فى النصف الجنوبى من كوريا تستطيع أن تعتمد على الولايات المتحدة من أجل تأمين الجزء الواقع جنوبى خط عرض ٣٨ » .

وفى مايو .. كما قدمنا اجريت الانتخابات الصورية واقيمت الحكومة الموالية للولايات المتحدة فى الجنوب ، غير أن موجة السخط فى كوريا الجنوبية لم تهدأ بل ازدادت ارتفاعا .. وتعددت الاضرابات العامة وأعمال المقاومة ، كما تعددت الاشتباكات بين العناصر الوطنية والبوليس ، وتصاعدت الحركة الشعبية بصورة كانت تهدد حكومة سينجمان رى بالسقوط فى أية لحظة ، فأخذت السلطات الامريكية تسرع فى تدابيرها ، لكى تحقق بالمدفع ما عجزت عن تحقيقه بالحيلة والارهاب ..

ونستطيع ان نقول ان التحضير للعدوان ضد كوريا الديمقراطية بدأ يدخل مرحلة جادة ابتداء من مطلع عام ١٩٥٠ ، ففى ٢٦ يناير من ذلك العام تم توقيع اتفاقية المعونة والدفاع المتبادل بين الولايات المتحدة وحكومة سينجمان رى فى كوريا الجنوبية .

وفى نفس الوقت ، اعادت الولايات المتحدة تنظيم قواتها البحرية والبرية فى الشرق الاقصى بحيث تخضع كلها لقيادة موحدة

واستدعى الجنرال ماكارثر سينجمان رى الى طوكيو حيث ناقشا معا مشروع غزو كوريا الشمالية وأفهم سينجمان رى تفاصيل دوره فى هذا الغزو .. كما تم الاتفاق على مضاعفة المعونة العسكرية الامريكية لكوريا الجنوبية ، وكانت قد وصلت فى العام السابق

الى ١٠٠ مليون دولار ، فاتفق على أن يوضع لها رقم غير محدود لعـام ١٩٥٠ .

وفى ١٧ يونيو ، طار داعية الحرب « دالاس » الى كـوريا ، ليضع اللمسات الاخيرة ، وليطلق اشارة النور الاخضر لكى يبدأ العدوان ، والقى وهو فى سـيول خطبة عصماء اكد فيها « ان الولايات المتحدة ستقدم كل المساعدات المادية والأدبية الى كوريا الجنوبية فى قتالها ضد الشيوعيين » وقـال مبشرا .. « ان الشيوعيين سيفقدون حتما سيطرتهم على كوريا الشمالية » .

والقى تعليماته الى سينجمان رى قائلا :

« لقد آن الأوان ، هاجم بقواتك كوريا الشمالية ، وسـوف نقول أن كوريا الشمالية هى التى بدأت بالهجوم .. »

« وستقدم الولايات المتحدة شكوى بذلك الى الامم المتحدة عسى أن نستطيع من خلالها أن نصنع شيئا » .

وقد حضر هذا الحديث كيم هيوساك ، وزير الداخليـة حينذاك فى حكومة سينجمان رى ... الذى أورده بالنص فى مذكراته فيما بعـد .

بل ان « دالاس » نفسه اعلن عند عودته من الشرق الاقصى يوم ٢٢ يونيو « انه سـوف يتخذ عمل ايجابى من أجل الحفـاظ على السـلام فى الشرق الأقصى » .

وفيما بعد ، كتب الصحفى الامريكى ا. ف. ستون فى كتابه « التاريخ السرى للحرب الكورية » يقول :

« صدر هذا التصريح فى ٢٢ يونيو ، وكان العمل الايجابى المقصود هو اندلاع الحرب فى ٢٥ يونيو ، وتعهد الولايات المتحدة الصادر فى ٢٧ يونيو بالتدخل على النطاق الواسع ضد الشيوعيين فى منطقة المحيط الهادى » .

وفى الساعة الخامسة من صباح ٢٥ يونيو ، زحفت قوات سينجمان رى عبر خط عرض ٣٨ ، وتقدمت نحو ٤ كيلو مترات داخل أراضى كوريا الديمقراطية قبل ان تصطدم بها قوات الدفاع وتردها على اعقابها ، ثم تنطلق فى أثرها كالسيل الجارف رافعة شعار تحرير كوريا الجنوبية من الاحتلال الامريكى ، وتوحيد شطرى البلاد .

وفى ٢٧ يونيو وبناء على طلب الولايات المتحدة اتخذ مجلس الامن قرارا بالتدخل المسلح « لحل النزاع فى كوريا » ، غير ان الرئيس الامريكى ترومان كان قد أمر قواته بالزحف على كوريا قبل صدور القرار .

وفى السابع من يوليو اتخذ مجلس الامن قرارا آخر أكثر حدة ، هو أن تحمل القوات الامريكية وغيرها المشتركة فى القتال « لحل النزاع فى كوريا » علم الامم المتحدة ، واسمها . وعين الجنرال ماكارثر قائدا عاما لقوات الامم المتحدة فى اليابان .

واشتركت مع الولايات المتحدة قوات من ١٥ دولة أخرى .. ولكنها كانت مجرد قوات رمزية ، بل أن استخدام اسم الامم المتحدة فى هذا العمل كان ضربا من النصب الدولى ، فقد اعلن ماكارثر بنفسه فى شهادة له امام مجلس الشيوخ الامريكى عام ١٩٥١ أن علاقاته بالامم المتحدة « كانت علاقة اسمية بحتة ،

فكل ما فعلته كان تحت الاشراف الكامل لرؤساء الاركان ، وحتى تقاريرى الروتينية كنت أقدمها لوزارة الخارجية الامريكية وللبنتاجون ..... باختصار لم يكن لى اية علاقة بالامم المتحدة بحال من الاحوال » .

وفى أول ديسمبر ١٩٥١ نقلت وكالة يونايتدبريس عن السناتور الامريكى بينتا احصائية تقول « انه الى جانب جيش كوريا الجنوبية ، فان القوات الامريكية تشكل ٩٩ر٢ ٪ من السلاح الجوى ، ٨٣ر٨٪ من القوات البحرية ، و ٨٨٪ من القوات البرية المحاربة تحت علم الامم المتحدة فى كوريا » .

فاذا اضفنا الى ذلك ، ان جيش كوريا الجنوبية انهار تماما ، بل تبخر فى اللحظات الاولى للقتال ، وان قيادة جميع الوحدات ووضع الخطط وترتيب العمليات ــ كل ذلك كان فى يد الامريكيين دون غيرهم ، لكان من حقنا أن نقول : أن الحرب الكورية كانت فى خلاصتها صداما مباشرا ، وجها لوجه ، بين الولايات المتحدة الامريكية ، وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، أو لعلنا أن نكون أقرب الى الصواب عندما نقول انها كانت صداما مباشرا بين الامبريالية الامريكية والشعب الكورى ..

والذى لا نزاع فيه ان حكومة ترومان كانت تتصور ان المهمة سهلة للغاية ، وان قواتها المرابطة باليابان الى جوار جيش كوريا الجنوبية كافية جدا « لطبخ » العملية كلها فى بضعة ايام ، أو بضعة أسابيع على الاكثر ، يتم خلالها ابتلاع كوريا الديمقراطية ، ولا يبقى بعد ذلك سوى الهضم !!

ولكنهم اخطأوا الحساب ، وكان لا بد أن يخطئوا الحساب لانهم لم يدخلوا فيه ــ وهم يرتبون موازين القوى ــ عاملا من

أهم العوامل ، بل العامل الذى استطاع بالفعل أن يحسم المعركة كلها فى النهاية ، الا وهو الشـــعب الكورى ذاته ..

تماما مثلما أخطأوا الحساب بعد ذلك فى فيتنام .. وتماما مثلما يخطئونه فى الشرق الاوسط .

ففى أقل من ثلاثة أشهر ، استطاعت قوات التحرير ـ أى قوات الجيش الشعبى لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، بالاضافة الى قوات حرب العصابات ، فى كوريا الجنوبية ، ان تحرر اكثـر من ٩٠٪ من اراضى كوريا الجنوبية ، حتى لم تعـد حـــكومة سينجمان رى تسيطر الا على قطاع محاصر فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من شبه جزيرة كوريا .

وجن جنون الامبرياليين الامريكيين ازاء الصدمة التى لـم يكونوا متوقعين لها ابدا ، فأخذوا يقذفون الى المعركة بمزيد من القوات .. وحشدوا للحرب فى كوريا اكثر من ثلث قواتهم البرية وخمس سلاحهم الجوى ، والجزء الاساسى من قواتهم البحرية ، حتى لقد استعانوا الى جوار اسطول المحيط الهادى بعدد غير قليل من سفن اسطولهم بالبحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسى .

وبلغ حجم القوات التى تعمل تحت القيادة الامريكية فى كوريا اكثر من مليونين ..

واخذت الطائرات الامريكية تشن غاراتها المكثفة بلا انقطاع فوق مدن وقرى كوريا الديمقراطية حتى احالتهـا جميعا الى انقاض بمعنى كلمة انقاض ، ومسحتها تماما من الوجود ، ولجأت السلطات الامريكية الى استخدام ابشع وسائل التعذيب والتنكيل ، وارتكبت عشرات المذابح بالجملة لتؤمن مؤخرتها ولبث روح اليأس والفزع

لدى المواطنين .. ولكن الشعب الكورى كان قد قرر الاستمرار فى المعركة حتى النصر ، واسلم قيادته الى الزعيم الذى آمن به ، واثقا انه سوف يخرج به من المحنة فائزا منصورا .

ولقد اتيح لى اثناء زيارتى لكوريا أن اشـــهد بعض آثار الجرائم التى ارتكبتها القوات الامريكية اثناء الحرب ، كما اتيح لى من قبل أن اشهد فى المانيا وبولندا بعض مخلفات جرائم النازى . وفى هذا الصدد ، فانى استطيع ان اقرر دون تحـــفظ .. ان القوات الامريكية مارست فى كوريا كل انواع جرائم الحـــرب البشعة التى ارتكبها النازى فى اوروبا .. بل وكان لقـــادتها ابتكارات وتجديدات اكثر بشاعة واجراما ..

فى بلدة سينتشون على سبيل المثال ، جمع الضابط الامريكى هاريسون أكثر من ٩٠٠ رجل وامرأة وطفل « من المشتبه فيهم » وحشرهم حشرا فى احد المخابىء ضد الغارات الجوية ، وبعـــد ان اغلق عليهم الابواب الحديدية صب عليهم من فتحات التهـوية كميات من الجازولين المشتعل بالنار .. فاحترقوا جميعـا فى دقائق .

ولقد اتيح لى ان أزور المكان ، ووقف شعر رأسى وانا أشهـد اثار الحريق على جدران الاسمنت المسلح وشظايا من قطع اللحم البشرى وجلود الرأس المحترقة مازالت لاصقة بالجدران والارض والى جوار ذلك كلمات لعل اصحابها نقشوها على الاسمنت بأظافرهم أو بمسمار وهم فى لحظات الاحتضار تقول : تحيـــا كوريا مستقلة .. يسقط الوحوش الامريكيون .

وفى سنو ـ وان ذبح الامريكيون ذبحا ١١٤٦ مدنيا من الشيوخ والنساء والاطفال ، وأقيم لهم فيما بعد ضريح جماعى هائل فوق

ربوة خضراء يعلوها نصب تذكارى يحمل اسماءهم جميعا ، والى جوار الربوة متحف يضم مخلفات المذبحة .. بزازات اطفال ملطخة بالدم .. وجدائل شعر محترقة اطرافها .. وقطعا من العظم البشرى متفحمة مهشمة ..

نفس الضريح الجماعى .. تجده فى تايجون ، حيث يحمل النصب التذكارى اسماء ٨٦٤٤ ضحية .. وفى جونجو حيث قتل فى مذبحتها ٤٠٠٩ من بينهم جميع اطفال ومدرسات احدى المدارس الابتدائية وفى بويو ٢١٠١ ، وفى تشسونجزو ٢٠٦٠ .

كانت الأوامر لدى الضباط الامريكيين أن يبيدوا كل العناصر الوطنية وكل من يشتبهون فى أنه عضو بالحزب أو متعاطف معه ، وهكذا كانوا كلما دخلوا قرية أو مدينة جمعوا على وجه السرعة كل المشتبه فيهم ليلقوا مصيرهم ، وفى بعض الاحيان كانوا يحملون معهم قوائم بأسماء معينة ، فاذا لم يجدوا اصحابها أخذوا أطفالهم وزوجاتهم ونفذوا فيهم الاعدام .. كل بالطريقة التى يتفتق عنها ذهن الضابط الامريكى المعنى .

فى مدينة كوتشانج على سبيل المثال ، كان قائد القوة الامريكية من هواة الصيد .. فأمر بجمع كل المشتبه فيهم فى حظيرة خنازير ، واختار لنفسه مكانا مناسبا .. ثم اخذ رجاله يخرجون المعتقلين والمعتقلات فرادى ، وبين كل شخص والذى يليه دقيقتان أو نحو ذلك ، حتى اذا ما سار السجين بضع خطوات عاجلته رصاصة من بندقية الضابط الصياد . واستمرت هذه العملية على مدى ثلاثة أيام ...

وفى سينوان — وهى قرية من قرى كونجسانج الجنوبية ، جمع الضابط الامريكى نحو ٥٠٠ من الرجال والنساء والاطفال

وساقهم الى شاطىء النهر واوقفهم وظهورهم ناحيته ، ثم امـر قواته باطلاق النار . واستمر اطلاق النار نحو ساعتين .. وكان البعض يلقون بانفسهم فى الماء ولكن الضابط الاريب كان محتاطا للامر ، حيث اعد القناصة على الشاطىء المقابل وفى الناحيتين لاصطيـاد السـابحين ..

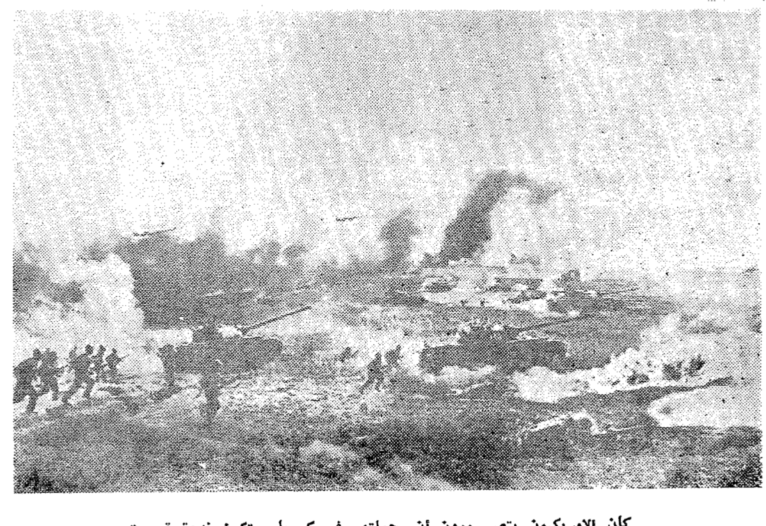
اما فى قرية مونبيونج ، فقد اختار القائد الامـريكى طريقة أسهل ، اذا بدا باخراج جميع الاهالى الى العراء ، ونزل جنـوده فنهبوا كل شىء فيها ، وجردوها تماما من محتوياتها ، واعـاد الاهالى الى منازلهم بعد ان طمأنهم ان هذا هو كل عقـابهم .. حتى اذا ما جن الليل فوجىء أهل القرية بالنار مشتعلة فى كـل مكان وكل دار .. واحترق فى مكانه من احترق أما من استطاع الهرب من النار فقد كان رصاص القناصة فى انتظاره لدى كل منفذ خارج القرية المحترقة .

وفى وادى باكسان .. عثر الفلاحون بعد الحرب على كميـة هائلة من الهياكل العظمية للاطفال مخفية تحت التراب ، وبهـا اثار الرصاص .. وعندما جمعت للاحتفال بدفنها ، ملأت ١٩ زكيبة ..

وكانت القاعدة العامة بالنسبة للنساء أن يغتصبن اولا ثـم يقتلن بعـد ذلك ..

وفى بعض الاحيان بلغت عمليات الاغتصاب من الوحشـية الى حد انها تناولت طفلات يقل عمرهن عن ستة اعوام ..

وفى قرية ميونجسا الصغيرة كان الشاويش الامريكى يتسـلى بتعرية الفتيات ، وادخـال اسـلاك طـويلة فى انوفهم .. وفى



كان الامريكيون يتصـــورون أن حملتهم فى كوريا ستكون نزهة قصيرة
ولكنهم وجدوا أمامهم جيشا شعبيا قوى الشكيمة مجهز بأحدث سلاح .

ـدورهن وكى الاجزاء الحساسة من اجسادهن بالنار ، ثم تقطيع
ـابعهن بالسكين وأخيرا .. تعلق الفتاة من قدميها فوق كوم
ـن الحطب وتشعل فيها النيران ..

ولقد استمر احتلال الجنود الامريكيين لناحية سينتشون
لقرى التابعة لها ٤٥ يوما ، قتل خلالها من ابناء المدينة وقراها
٣٥ر٣٨ رجلا وامرأة وطفل ، أى نحو ربع سكان المنطقة كلها .

* * *

وكانت الحرب الكورية قد دخلت مرحلة بالغة الضراوة عندما
زلت السفن الامريكية قوات ضخمة على كل من الشاطئين الشرقى
لغربى لكوريا الشمالية ، فى نفس الوقت الذى قامت فيه قواتها
جوم مضاد فى الجنوب ، وانتقل بذلك مسرح العمليات الحربية
ـى الشمال ، حيث اصبح الوطن فى خطر ، وحيث اصبح رد الغزو
نقاذ القرى والاهالى من بطش الوحوش المعتدين هو الواجب
ول امام القوات المسلحة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية .

وفى هذه المرحلة ، دمر الفزاة الامريكيون سواء عن طريق
جو أو القصف من البحر فى كوريا الشمالية اكثر من ٨٧٠٠
سنع وورشة ، وما يزيد على ٦٠٠ الف من المبانى السكنية ،
كثر من ٥٠٠٠ مدرسة و ١٠٠٠ مستشفى و ٢٦ من دور المسرح
لسينما ومئات الكنائس والمعابد والاف المؤسسات الثقافية
الترفيهية .

ولم تخل غارة من غاراتهم من استخدام قنابل النابالم ، كما
جأوا الى استخدام الاسلحة البكتريولوجية ، والقوا قنابل
جراثيم والاوبئة فى مياه الانهار وغيرها من الأماكن ، وتؤكد

السجلات انهم استعملوا سلاح الميكروبات فى ٤٠٠ مكان ، وانهم فى الفترة من يناير حتى مارس ١٩٥٢ ارتكبوا ٧٠ حادثا من هذا النوع .

وبالرغم من كل ذلك ، استطاعت قوات الجيش الثورى سحق الهجوم الامريكى ، وساقت امامها جيوش الغزو مدحورة عبر خط عرض ٣٨ بعد ان أنزلت بها هزيمة كانت حديث الناس فى الشرق والغرب .. وكما تقول جريدة التايمز اللندنية فى عددها الصادر بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٥٠ « انها اسوأ هزيمة كابدتها الولايات المتحدة الأمريكية » .

ويقول ماكارثر نفسه فى « السجل الحقيقى للحرب الكورية ـ ص ٣٢٠ » ، « لقد واجهنا حربا جديدة تماما .. فعلت كل ما يستطيع انسان أن فعله ، ولكنى ووجهت بصعاب لا يمكن التغلب عليها » .

وتقول الاحصاءات الامريكية ، انهم خسروا فى السنة الاولى من الحرب أكثر من ٥٠ الف مليون دولار وان خسائرهم من العتاد والمعدات فى هذه السنة جاوزت نصف كل ما خسرته الولايات المتحدة اثناء الحرب العالمية الثانية .

اما خسائر القوات المتحالفة فى الارواح فقد تجاوزت ٥٩٨ ألفا من القتلى والمصابين .

وهكذا مع نهاية ١٩٥٠ كانت قوات الجيش الشعبى وفرق المتطوعين قد طهرت النصف الشمالى من كوريا تماما من العدو واحبطت نهائيا « الهجوم الشامل لعيد الميلاد » الذى طبلت له الدعاية الامريكية وأسبغت عليه هالة من التخويف والتهويل

قبل الشروع فيه واثناء ايامه الاولى ، ولكنه لم يلبث أن تحول الى هزيمة منكرة لا سبيل الى اخفائها ، وفى نفس الوقت تزايد نشاط الوحدات العاملة فى مؤخرة العدو واخذت هذه تكيل الضربات تلو الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومستودعات تموينه ..

ومرة أخرى جلب العدو الامريكى المزيد من الامدادات ، واعتمد للعدوان مزيدا من بلايين الدولارات ، بينما كانت موجة الاحتجاج وادانة العدوان الامريكى تمتد الى جميع ارجاء العالم حتى فى داخل الولايات المتحدة ذاتها ، وارتفع فى كل مكان شعار « ارفعوا ايديكم عن كوريا » .

ومع احتدام القتال على مختلف الجبهات ، كان شعار « كل شيء من اجل الانتصار » يأخذ مكانه فى كافة جوانب الحياة والنشاط فى كوريا .. وكان من أبرز تطبيقات هذا الشعار اعلان جميع كوادر الحزب وقياداته العاملين بمختلف المجالات اكتفاءهم بالحد الادنى للاجور والمرتبات وتبرعهم بما عدا ذلك للمجهود الحربى ، وسرعان ما اقتدى بهم سائر العاملين والموظفين فى كل مكان .

وانتظمت الطبقة العاملة حركة عارمة لمضاعفة الانتاج بالرغم من ظروف القصف الجوى المستمر ، وتم نقل جميع المصانع والوحدات الانتاجية والمدارس الى أماكن محصنة فى بطون الجبال حتى تكون فى مأمن من الغارات .

واتخذ الزعيم كيم ايل سونج مقرا لقيادته تحت جبل فى قلب مدينة بيونج يانج ، يدير منه عمليات المقاومة التى شملت

الشعب باسره ، فلم يعد هناك فرد واحـد حتى الاطفال دون العاشرة الا وله دور فى المعركة يعرفه ويتقنه ويؤديه .

وتم تسليح الشعب كله ، سواء فى قلب المدن والقرى او على الشواطىء ، ولذلك فشلت بعد ذلك كافة محاولات الانزال من البحر ، كما صرفت الولايات المتحدة النظر عن استخدام قوات المظلات بعد ان تعرضت محاولات الانزال من الجو للابادة التامة عـدة مرات ..

وعندما جاء موعد الذكرى الاولى لبداية العدوان ، اى فى يونيو ١٩٥١ ، كانت الجبهة قد ثبتت بشكل رئيسى حول خط عرض ٣٨ ، حيث اخذ جنود الجيش الشعبى يوجهون الضربات المتتالية للعدو الامريكى ، مستفيدين من الخبرة الطـويلة التي اكتسبها قادتهم خلال معارك الكفاح المسلح ضد اليابان .

وأمام الهزائم المتوالية ، وضغط الرأى العام المتنامى ، وانهيار هيبة الولايات المتحدة وسمعتها العسكرية فى العالم بأسره لجأت القيـادة الامريكية الى طلب الهدنة فى يوليو ١٩٥١ .

ولكنهم كانوا فى الحقيقة يطلبون مهلة لاسترداد الانفـاس واستجماع قواهم لشن هجوم جديد .

وبدات محادثات الهدنة بالفعل يوم ١٠ يوليـو ، وبينما المفاوضات جارية دون أن تتقدم خطوة واحدة ظن الامريكـيون ان الوقت قد حان ، وانهم يستطيعون أن يأخذوا الـكوريين بالمفاجأة ، كشنوا هجوما واسع النطاق اطلقوا عليه اسم « هجوم الصيف » ولما فشل تبعوه بهجوم آخر سموه « هجوم الخريف » ولكنه لم يكن اسعد نصيبا من سابقه ، ولقى الهجومان سلسلة

من الهزائم المنكرة كان من ابرزها وابعدها دويا هزيمتهم فى معركة المرتفع رقم ١٢١١ ، حيث تولى المارشال كيم ايل سونج بنفسه قيادة القوات الكورية المدافعة عن المرتفع ، واخذت جحـــافل الامريكيين تتدفق على المرتفع على شــكل موجات متتــــابعة ، يساندها من الجو نحو ٣٠٠ طائرة كانت تسقط ما بين ٣٠ الف الى ٤٠ ألف قنبلة كل يوم ، ولكن موجات الهجوم كانت تتكسر تباعا على صخور المرتفع الحصين ، وتحول الجبل الى بوتقة ابادة حقيقية للقوات المهاجمة ، وامتلأ الوادى تحته بأشلاء الامريكيين وعتــادهم المحطم .

وهكذا انتهى هجوم الصيف والخريف كما انتهى من قبــله هجوم الشتاء والربيع بهزيمة قاسية جعلت العــدو يعود مرة اخرى الى مائدة المفاوضات وهو اكثر استعدادا لقبول شروط الــكوريين .

وادت هذه الهزائم المتوالية الى مزيد من السخط فى داخــل الولايات المتحدة الامريكية ، وكانت المشكلة الكورية هى المحــور الذى دارت من حوله انتخابات عام ١٩٥٢ ، حيث رفع الحزب الجمهورى ــ ومرشحه ايزنهاور ــ شعار « انهاء التورط الامريكى فى كوريا » ، وعلى هذا الاساس فاز فى انتخابات الرئاسة .

ولكن ايزنهاور حاول مثل سلفه ترومان أن ينهى التورط من مركز القوة ، وتوجه بنفسه الى كوريا فى مطلع عام ١٩٥٣ تسبقه دعاية واسعة عن « عبقرية بطل الحرب العالميةالثانية » وكيف انه يضع أو وضــع خطة ســحرية لابادة القوات الكورية وسحق قدرتها على المقــاومة ..

ونسى ايزنهاور كل تصريحاته قبل توليه الرئاسة عن انهاء التورط الامريكي فى كوريا ، تماماً كما نسى نيكسون عام ١٩٦٩ كل تصريحاته عن انهاك التورط الامريكي فى فيتنام ، واخذ فى نوبة من الغرور المتهور يعد العدة لعملية انزال على الشاطئين الشرقي والغربي كان نصيبها علقة ساخنة وهزيمة ساحقة تم فيها ابادة الاف عديدة من القوات الامريكية ، وانتهزت قوات الجيش الشعبي الخلخلة التى اصابت العدو فزحفت بسرعة لتحرر مزيدا من الاراضى التى كانت من قبل تحت السيطرة الامريكية .

ومرة اخرى عاد الامريكيون الى مائدة المفاوضات ، ولكنهم الآن قد باتوا اكثر تواضعا ، بعد أن علمتهم الهزائم المتكررة الا جدوى من ادعاء الصلف أو اللجوء الى المناورات .

وفى ٢٧ يوليو ١٩٥٣ تم توقيع الهدنة ، وانتهت الحرب الكورية بانتصار مظفر لجمهورية كوريا الدمقراطية الشعبية ، وهزيمة عسكرية وسياسية مهينة لأقوى واغنى دولة فى العالم الراسمالي ، وبعد ان تكلفت الولايات المتحدة وحلفائها ٨٠٠ر٠٩٣ر١ خسائر فى الأرواح ، منهم ٠٠٠ر٣٩٧ من الجنود الامريكيين ، فضلا عن ٢٠٠ر١٢ طائرة ، و ٢٥٠ مركبا بحريا من مختلف الانواع ، ومئات الوف الاطنان من العتاد والتجهيزات الحربية الاخرى .

وبكلمات اخرى ، خسرت الولايات المتحدة خلال ثلاث سنوات من الحرب ضد جمهورية كوريا الدمقراطية الشعبية أكثر من ٣ر٢ اضعاف ما خسرته طوال ٤ سنوات من الحرب ضد اليابان ابان الحرب العالمية الثانية ، سواء من حيث الرجال أو العتاد القتالي والفنى .

وكانت الحرب الكورية أول حرب فى تاريخ الولايات المتحدة تخرج منها مهزومة مدحورة .

وفى هذا كتب الجنرال « كلارك » قائد القوات الامريكية الذى وقع نيابة عن حكومته اتفاقية الهدنة — فى مذكراته التى تحمل عنوان « من الدانوب الى نهر يالو » :

« ... وهكذا فى الايام الاخيرة من حياتى اجد نفسى مرتديا تاجا بلا ريش !! ، بعد ان اكتسبت صفة لا يحسدنى عليها احد، تلك هى اننى أول قائد امريكى فى التاريخ يوقع هدنه ليس هو فيها الجانب المنتصر »

وبهذا الانتصار العظيم ، خرجت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية مرفوعة الرأس من اقسى واروع تجربة تعرضت لهـا ولما لم يمض من عمرها اكثر من خمس سنوات .

وعندما يستعيد المرء الاهوال التى كابدها الشعب الكورى طوال سنوات الحرب ضد العدوان الامريكى ، لا يكاد يصـدق كيف استطاع هذا الشعب الصغير أن يصنع تلك المعجزة .

ولكن المعجزة لم تقف عند حد الانتصار ، وانما كان اعظم ما فيها انها استمرت بعده بنفس الروح ونفس الايمان .

فلم تكد الحرب تضع أوزارها حتى التقط الـكوريون فى الشمال فئوسهم ومطارقهم ليعيدوا بناء وطنهم المخرب بنفس العزم والتصميم الذى حطموا به بطش الغول الامريكى والقـوا بجثثه الى البحر ، رافعين شعار الشوليما .. والجوتشي .

* * *

الفصل الثامن

اينما وجهت ناظريك فى كوريا الديمقراطية لا بد وان تصافح عينيك احدى ثلاث اما جواد التشموليما المجنح ، أو كلمة الجوتشى ، أو صورة الزعيم كيم ايل سونج ..

أما جواد التشموليما ذو الاجنحة ، فهو ماخوذ عن اسطورة كورية قديمة كان البطل فيها يطير من مكان الى مكان بجواد مجنح يقطع فى اليوم الف فرسخ .. وهو كناية عن أن كوريا المستقلة المنتصرة فى الحرب تنطلق فى مجال البناء بسرعة الجواد الاسطورى .

واما فكرة الجوتشى فهى تعنى عدة أشياء فى وقت واحد .. يقول الزعيم كيم ايل سونج :

ان فكرة الجوتشى بايجاز شديد هى أن أصحاب الثورة والبناء هم جماهير الشعب كما أن القوة الدافعة للثورة والبناء تكمن فى جماهير الشعب .. وبعبارة أخرى . ان المرء هو سيد مصيره كما ان قدرة المرء على صياغة مصيره انما هى كامنة فى ذاته هو .

هذه العبارة توضح لنا مكانة جماهير الشعب ودورها فى الثورة ، وفى البناء ، كما انها فى نفس الوقت تستند الى حقيقة أن الانسان هو صاحب كل شىء وهو الذى يقرر كل شىء ..

ان اعادة صياغة الطبيعة والمجتمع كما انها من أجل الشعب فانها أيضا عمل يقوم به الشعب ، فالانسان هو أثمن ما فى العالم . والانسان هوأعظم الكائنات اقتدارا .

ومن ثم فان فكرة الجوتشى تطالب بأن يفكر المرء فى كل شىء وهو واضع الشعب فى بؤرة اهتمامه ، وأن يجعل كل شىء يخدم الشعب .

وانطلاقا من هذا كله فان فكرة الجوتشى تفترض أنه يتعين على كل شعب أن يتمسك بوضعه باعتباره هو صاحب الثورة والبناء فى بلده .. ووضع صاحب البناء والثورة يتمثل فى موقفين هما الاستقلال والابداع .

والموقف المستقل معناه أنه يتعين على المرء أن يرفض روح الاعتماد على الآخرين وأن يفكر بعقله الخاص ويحل كل شىء على أساس أحكامه الخاصة وعقيدته الخاصة ، كما يعنى أيضا أن يحل مشاكله الخاصة على مسئوليته الخاصة مبديا الروح الثورية للاعتماد على النفس .

أما الموقف الابداعى فيعنى اعتماد المرء على الحماس الثورى لجماهير الشعب ومبادرتها الخلاقة ومعارضة الجمود العقائدى وحل كافة مشاكل الثورة والبناء فى بلده بما يتفق مع الواقع الملموس بها .

ولقد حقق الشعب الكورى نجاحات كبيرة وهو يجسد فكرة الجوتشى فى كافة مجالات الثورة والبناء .

ففى المجال الايديولوجى وضع الشعب الكورى ايديولوجية بنفسه ، محاذرا كل الحذر من النقل الحرفى لاية ايديولوجية وضعت لشعب آخر فى ظروف غير ظروفه ..

وأيضا ليس معنى هذا انه رفض أية ايديولوجية علمية لمجرد انها لم تصنع بمعرفة كوريين ، وانما معناه بالتحديد تطويع كل أيديولوجية علمية بما يتفق والواقع الكورى .

وفى مجال السياسة يتمسك الشعب الكورى باستقلاله الكامل وهو الذى يحدد كافة خطوطه وسياساته بما يتفق مع ظروفه التاريخية وخصائصه القومية فى بلده وينفذها بقوته الذاتية ويمارس سيادته الكاملة فى مجال العلاقات الخارجية .

وفى الاقتصاد تتجسد فكرة الجوتشي فى بناء اقتصاد وطنى مستقل .

ولكى يكون هناك اقتصاد كورى مستقل ، لا بد أن تكون هناك أولا صناعة ثقيلة تصنع الآلات .. ولكى تكون هناك صناعة ثقيلة كورية ناجحة يجب أن تنتج المناجم ما يكفيها من خامات المعادن الحديدية وغير الحديدية .. وأيضا يجب أن تتوفر الكوادر الكورية الوطنية القادرة على تشغيل المناجم والمصانع والالات وتطويرها ..

وفى مجال الدفاع يتمسك الشعب الكورى بمبدا الدفاع الذاتى والاعتماد على النفس .. سواء من ناحية انتاج السلاح او التدريب أو القتال أو وضع الخطط للمعارك الصغيرة والكبيرة على حد سواء ..

وفى مجال الثقافة يبنى الشعب الكورى ثقافة قومية اشتراكية تخدم الثورة الكورية وتلائم مشاعر وحياة الشعب ، بحيث يشيد صرحها ، أسوة بما هو فى مجالات الدفاع والاقتصاد ، بالامكانيات

الكورية سواء فيما يتصل بالاتجاهات الفنية أو الذين يقومون بها ..

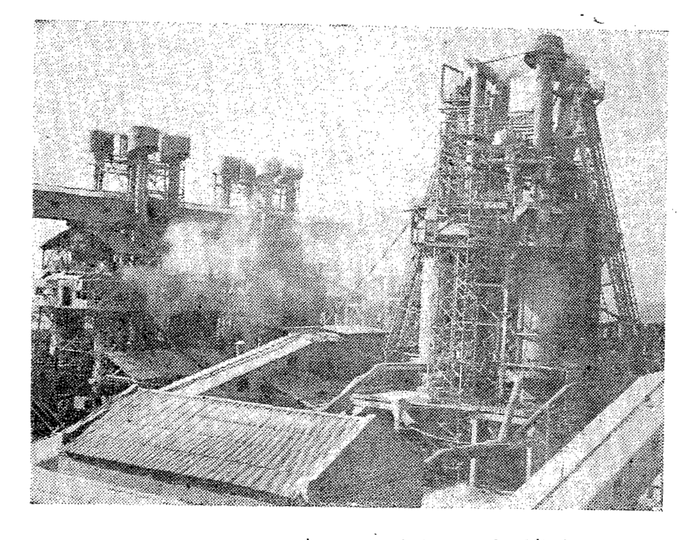
والى جوار الاعتماد على الذات فى كل شىء من الألف الى الياء فان فكرة الجوتشى أيضا تفترض « الثقة بالنفس » .

فلا معنى لأن تعتمد على نفسك ، ما لم تكن واثقا من قدرتك ولكن هذه الثقة التامة بالنفس يجب أن تكون فى نفس الوقت ابعد ما يكون عن الغرور . وانما هى بالتحديد الادراك الكامل لمدى قدرات الشعب ، واطلاق جميع الامكانيات من أجل استثمار هذه القدرات الى أقصى قدر مستطاع .

ويحافظ الشعب الكورى من تلقاء نفسه على الانضباط الجماعى القائم على فكرة الجوتشى .. والانضباط هنا يعنى أن المرء لا يتعتمد على نفسه أو يشق فى نفسه كمجرد فرد . وانما كجزء من كيان هائل هو الشعب كله ، ومن أجل ذلك فانه يجب ان يتحرك فى انسجام كامل وايقاع واحد مع المجموع .. وبهذه الطريقة يستطيع الشعب ان يحقق ببساطة ما يراه الغير معجزة يحار امامها المفسرون والشارحون ..

وهكذا ، فان الشعب الكورى لم يكد يحرر النصف الشمالى من بلاده حتى انطلق بسرعة التشوليما ، وهمة الجوتشى يعيد بناء بلاده .. بادئا من الصفر ..

كانت الحرب الوطنية قد تركت كل مدنه وقراه ومصانعه ومستشفياته ومدارسه ومؤسساته الثقافية انقاضا ، وكان على



سيصل انتاج الحديد والصلب فى جمهورية كوريا الديموقراطية فى نهاية الخطة الخمسية الحالية الى ٤٫٥ مليون

الشعب أن يعيد بناء كل هذا اولا . ولقد استطاع بالفعل بتصميم لا يعرف التردد بعد عامين اثنين ان يفعل كل هذا وبشكل أجمل وأفضل كما استطاع أن يرفع قدرته الدفاعية ليجعل بلاده قلعة منيعة عصية على أى عدوان جديد وكان هذا تجسيدا لفكرة جوتشى التى هى باختصار تدبير وتنفيذ مختلف الاعمال بفاعلية وبأسلوب كورى واعتمادا على الأفكار النابعة من الكوريين أنفسهم وبأيدى الكوريين أنفسهم .

وهكذا ـ على سبيل المثال ـ نجد أن الصناعة الثقيلة وبالذات صناعة الآلات والماكينات على اختلافها فى عام ١٩٦٧ يتضاعف حجم انتاجها مائة مرة بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٤٨ .

وبينما كان انتاج الآلات الثقيلة قبل الاستقلال لا يتجاوز ١،٦٪ من مجموع الانتاج الصناعى فانه فى عام ١٩٦٧ اصبح يمثل ٣١٫٤٪ من هذا الانتاج .

والذى يزور معرض الصناعة الثقيلة فى بيونج يانج لا بد وأن يدهشه ذلك التنوع الكبير فى المنتجات الكورية فى هذا الفرع من فروع الانتاج ابتداء من قاطرات السكك الحديدية والبلدوزرات والحفارات والجرارات وسيارات النقل والأتوبيس والمخارط ذات الأغراض المتعددة والتى يصل طول الواحدة منها الى ثمانية أمتار والتربينات الضخمة ومكابس التعدين التى تصل سعة الواحد منها الى ٦٠٠٠ طن . والى جوار ذلك محركات الديزل بقدرة الف حصان بخارى والمحولات الكهربائية بقدرة ٦٠ الف كيلو وات والسفن التى تتجاوز حمولة بعضها عشرات الالوف من الأطنان .

وبسرعة التشوليما وتحت راية الجوتشى تنتج كوريا الديمقراطية اليوم نحو ٣ مليون طن من الصلب سنويا . وسوف يرتفع هذا الرقم عند نهاية الخطة الحالية الى ٤ مليون ونصف مليون طن سنويا ، أى بزيادة ١٢ ضعفا تقريبا عما كان عليه عام ١٩٥٠

ولقد انتجت مصانع النسيج عام ١٩٦٩ فى كوريا الديمقراطية من مختلف أنواع الأقمشة ما يزيد ٣٠٠ مرة عن أعلى رقم سنوى وصلت اليه أيام الاحتلال اليابانى .

ولقد لفت نظرى بنوع خاص نوع من القماش الذى لا يتأثر بالغسيل ولا يحتاج الى الكى اسمه الفينالون ، وخيوط هذا النسيج مصنوعة من الصخور بعد معالجتها كيماويا . وينتج مصنع الفينالون فى مدينة هامهونج ــ وهو واحد من عدة مصانع مشابهة ــ ينتج وحده كل أربعة أيام ما يعادل انتاج جميع المصانع التى كانت فى شبه الجزيرة الكورية خلال سنة كاملة من سنوات الاحتلال اليابانى .

كذلك أمكن انتاج الحرير الصناعى وخيوط الربون من مصاصة القصب ، وقشور الذرة وسيقان الأشجار .

كذلك أقيم مصنع ضخم للمطاط الصناعى ، كى يمكن توفير المطاط بالاعتماد على النفس عملا بمبدأ الجوتشى ..

وفى نفس الوقت ــ روعى عند انشاء المصانع الجديدة أن توزع توزيعا جغرافيا بحيث يكون هناك توازن .. ولنأخذ دائرة كيتشون على سبيل المثال ، وكانت من قبل محرومة تماما من أى نوع من أنواع الصناعة ، ولكننا نجد بها اليوم ١٦ مصنعا مختلفا مجهزة بأحدث المعدات ، من بينها مصانع للنسيج والأحذية

منتجات الصويا ، والقيشانى ، والورق والسكريات ... الخ . وتنتج هذه المصانع مئات الأنواع من المنتجات الغذائية والسلع الاستهلاكية مع الحرص على استخدام المواد الخام المحلية .

ويطرد تزايد الانتاج بمعدل بالغ الارتفاع . ففى هذه الدائرة بالذات تزايد انتاج المواد الغذائية عام ١٩٦٩ بنسبة ٢١ مرة عما كان لديه عام ١٩٥٨ ، وينتج حاليا فى اليوم الواحد من النسيج قدر انتاج عام ١٩٤٨ بأكمله بمتوسط ٢٥ مترا للفرد الواحد .

واليوم ينتج فى كوريا الديمقراطية اكثر من ٣٠ الف نوع مختلف من البضائع الاستهلاكية ، ابتداء من أجهزة التليفزيون والثلاجات الكهربائية والغسالات وأجهزة الراديو الى أبر الخياطة وأدوات الزينة .

ولكن ، كيف كان حال التشوليما والجوتشى فى مجال الزراعة ؟

سبق لنا القول ، انه بمجرد الخلاص من الاحتلال اليابانى عام ١٩٤٥ ، نزل الزعيم كيم ايل سونج بنفسه ومعه أفضل كوادر الحزب الى الريف لكى يستطلعوا على الواقع أفضل الحلول للمشكلة الزراعية ، وكان الحل الاشتراكى الواضح الذى يتفق مع آمال الفلاحين ، ومصلحة البناء الاشتراكى فى نفس الوقت هو تطبيق شعار « الأرض لمن يفلحها » .

وعلى هذا الاساس صدر قانون الاصلاح الزراعى وبمقتضاه صودرت الأراضى المملوكة للأجانب وكبار الملاك والخونة بدون تعويض ، ووزعت مجانا على من يفلحونها . ومنع بتاتا استخدام الأرض الموزعة على الفلاحين كوسيلة من وسائل الاستغلال ...

واختفت الى الابد بقايا علاقات الانتاج الاقطاعية مثـــل تأجير الأرض او المشـــاركة العينية .. الخ .

والقاعدة المتعارف عليها لدى كافة العقائديين الاشتراكيين هي أن تحقيق التحـــول الاشتراكي للاقتصاد الزراعى لا يمكن ان يتم الا على أساس قاعدة من التصنيع ..

اي أنه بلا جرارات ، وكومبينات حصاد ، وباختصار بدون الميكنة الكاملة فان التحول الاشتراكى فى الريف يكون ضربا من المســـتحيل ..

ولكن الثورة الكورية لم يكن باستطاعتها أن تنتظـــــر حتى يمكن انتاج ما يكفى من آلات وماكينات الزراعة . وكان لابد من ايجاد حل للمسألة .. حل مبتكر يتفق مع الواقع القـــائم ، وضرورات الثـــورة الاشتراكية .

وكان الواقع يقول : ان الاقتصاد الزراعى المبعثر المتفتت لا يصلح بالمرة لتطوير القوى الانتاجية الزراعية بالسرعة المطلوبة ، ولا يمكن معه دفع الزراعة بسرعة تتفق مع سرعة اندفاع الصـــناعة الاشـــتراكية .

وكانت ضرورات الثورة الاشتراكية تتطلب الاسراع بحـــل مشكلة الفلاحين الفقراء الذين تزايد عددهم وازدادت حـــالتهم سوءا نتيجة الاستنزاف اليابانى ، ثم بسبب الحرب . كما كان هناك نقص شديد فى حيوانات الجر وادوات الفلاحة .

وكان الحل هو الأخذ فورا بنظام المزرعة التعاونية ، والتدرج بعد ذلك بالميكنة وفقا لقدرات الصناعة فى كوريا ، مع مـــراعاة العمل باستمرار على تقريب الثغرة بين الريف والمـــدينة ...

والاهتمام دائما بالثورة الايديولوجية فى الـــريف بحيث يقترب العــالم الفــكرى للفلاحين من العالم الفكرى للعمال .

ولما كانت الزراعة فى كوريا تعتمد أساسا على الأرز ، والأرز كما نعرف يحتاج وفرة معينة من المياه ، فقد اعطيت الأولوية هناك لشــبكات الرى ، وبعد ذلك جاء دور الميكنة .

وكما ذكرت من قبل ، أعيد بناء جميع قرى كوريا الديمقراطية ، على أحــدث الاســاليب ، مع الاحتفاظ بالطابع الخاص للمنازل الريفية .. وزودت كل قرية بكل المرافق الاساسية ، من نــور وكهرباء وخدمات صحية وثقافية وتعليمية .. الخ . وأصبحــت بعض العمليات الصعبة ، مثل ضرب الأرز تتم بواسطة الطـــاقة الكهربائية ..

وفى عام ١٩٦٩ ، كانت نسبة الجرارات بمعدل جرار واحد لكل ٨٢ هكتارا ، كما كانت جميع المزارع مزودة بسيارات النقـــل والبلدوزرات التى تتيح لها استصلاح المزيد من الأراضى وضــمها لمســاحتها ..

وفى نفس العام وصل نصيب الهكتار الواحـــد من الأسمدة الكيماوية المنتجة فى كوريا الديمقراطية الى ٥٠٠ كيلو جرام ، كما يجرى استنباط مبيدات حشرية جديدة سنويا .

وبلغ عدد المهندسين الزراعيين ومساعديهم المتخـرجين من الكليات الجامعية او المعاهد الزراعية المتوسطة أكثر من ١٠٤٫٠٠٠ مهندس ومساعد مهندس . وما زال هذا العدد فى ازدياد .

وبفضل الاهتمام بالتنمية فى مجال الزراعة ، حقق الانتـــاج الزراعى عام ١٩٦٧ زيادة قدرها ١٦٪ عن العام السابق ، كمــا

أمكن تلافى الأضرار الناجمة عن الجفاف فى العام التالى وتحقق رغم سوء الأحوال الجوية زيادة قدرها ١١٪ .

وفى عام ١٩٦٧ بدأت فى كوريا حملة واسعة من أجل تشجير الجبال بأشجار الفواكه المثمرة . وكان من نتيجة هذه الحملة ان تضاعف الانتاج اكثر من مائة مرة ، ووصل عام ١٩٧٠ الى ٥٠ الف طـن .

وفى كل وحدة انتاجية ، سواء كانت صناعية أو زراعية . نجد كتائب التشوليما التى تسابق الكتائب الأخرى فى ضرب أرقام الانتاج القياسية وتحقيق أهداف الخطة قبل موعدها .

كما توجد فى كل وحدة من وحدات الانتاج لجان حزبية هى حلقة الوصل بين القيادة والشعب . ولقد سألت ما اذا كان أعضاء هذه اللجان يتمتعون بأية امتيازات خاصة ، وكان الجواب انهم على العكس يتحملون من الأعباء أكثر مما يحمله العامل العادى أو المزارع التعاونى العادى ..

ومن ابرز الأمثلة على ذلك ان عضو الحزب لا بد أن يحصل على تقدير « جيد » لكى يستحق العلاوة السنوية ، أما غير الأعضاء فيحصلون على علاواتهم سواء كان تقديرهم « جيد » أو « مقبـول » .

ويتمتع المواطن الكورى بكل الخدمات التعليمية والصحية والثقافية مجانا بدون مقابل .

والتعليم العام اجبارى ، لا يتحمل فيه التلاميذ اية مصروفات بالمرة . ويصرف الزى المدرسى للتلاميذ بلا مقابل فى كل سنة دراسـية .

كما يتلقى التلاميذ جميع متطلباتهم الدراسية من كتب ودفاتر وأقلام وادوات مدرسية مرتين كل عام .

وكما ذكرنا من قبل ، فان التعليم العام ــ وقد تقرر رفع مدته الى عشر سنوات بعد ان كانت تسعا ــ يقوم اساسا على اعداد مواطن مثقف ثقافة عملية وفنية اكثر منها نظرية .

ويتلقى طلاب المدارس الفنية العليا والكليات الجامعية منحا دراسية من الدولة .

ويستطيع من يشاء من أبناء الجيل الصاعد أن يلتحق بجامعة كيم ايل سونج أو معاهد التعليم العالى أو مدارس التربية والمعلمين والمعلمات .

كما يطبق نظام الانتساب على نطاق واسع . وهناك معاهد عليا عديدة ملحقة بالمصانع يستطيع فيها العمال ان يواصلوا تعليمهم ويحصلوا على أرقى الشهادات المتصلة بنوع عملهم .

ومن كل أربعة أشخاص ، يوجد شخص واحد على الأقل يتلقى العلم فى أحد مراحل التعليم .. ونتيجة لهذه الثورة التعليمية فان فى كوريا الديمقراطية اليوم ٦٠٠ الف مهندس ومساعد مهندس وخبير .

أما الرعاية الصحية فى كوريا الديمقراطية فهى تقوم على اساس مبدأ « الوقاية أولا ، ثم العلاج » وتتخذ لنفسها شعار : هو ان الشباب يمتد حتى سن الستين .. ولا يحتفل المرء بعيد ميلاده الستينى الا وهو فى التسعين !! وهو شعار من وضع الزعيم كيم أيل سونج نفسه .

وفى عام ١٩٦٧ ، كان عدد المستشفيات والعيادات وسائر مؤسسات الخدمة الطبية قد تضاعف أكثر من ٣١٨ مرة بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٤٤ ، كما تضاعف عدد الأطباء نحو ٣٩ مرة ، وبفضل النظام الصحى المتبع الآن ، ازداد متوسط العمر بمقدار ٢٠ سنة ، وانخفضت نسبة الوفيات بنسبة ٥٠ ٪ .

فاذا انتقلنا الى ميدان الفنون .. وخاصة الفنون الاستعراضية فاننا لا بد وان نحس بالدهشة لهذا المستوى الرفيع الذى وصلت اليه تلك الأمة الفتية التى كانت حتى الأمس القريب مسحوقة سحقا تحت اقدام الاستعمار ..

ولقد استمتعت أثناء زيارتى لكوريا هذا الصيف بمشاهدة أوبرا « بحر الدماء » .. وهى مستمدة من نضال الشعب الكورى ضد الاستعمار اليابانى . وكان إلى جوارى فى نفس المقصورة مسئول يابانى فى مجال التجارة الخارجية تصادف وجوده فى بيونج يانج فى نفس الفترة بهدف اجراء محادثات وابرام اتفاقية تجارية بين البلدين ..

ولازلت أذكر كيف كان الرجل ينسى مركزه الوزارى بل ينسى حتى جنسيته كيابانى وهو يكاد يقطع يديه تصفيقا لروعة الأداء والعرض والاخراج والألوان والحبكة الدرامية ، بين كل مشهد وآخر .. بالرغم من ان « اليابانى » بحكم موضوع القصة كان هو دائما الشرير !

ولفت نظرى فى أوبرا « بحر الدماء » كيف استعان المخرج الشاب بالفنون السينمائية ليعطى لخشبة المسرح أبعادا هائلة ، وكيف كانت مشاهد الأوبرا تتداخل مع مناظر السينما فى خلفيتها

بتكنيك فنى رائع لا تستطيع معه أن تحس بوجود الصورة ، وانما كل ما تراه مجسد كانما المسرح يمتد آلاف الأمتار ..

وسألت فعرفت أن الأوبرا أعدت كلها .. بنفس طريقة « الجوتشى » .. فكل ما فيها .. ومن فيها .. المخرج ومساعدوه وواضعوا الموسيقى ومصممو المناظر والملابس .. والخامات والألوان وكاميرات السينما ، والراقصون ولراقصات ، والأقمشة والستائر كل هذا كورى مائة فى المائة .

أما قصة الأوبرا ذاتها فهى من وضع الزعيم كيم ايل سونج .

كما شاهدت عرضا للسيرك ، وعددا من الأفلام الممتازة بحق وكم كنت اتمنى أن يشهد هذا وذاك معى نقادنا الفنيون والمسئولون عن المسرح والسينما فى بلادنا ، ليعرفوا ان الفن الهادف يستطيع أن يحلق بالانسان فى عوالم أرقى وأكثر اثارة من كل ما عداه ..

وقد يبدو كلامى غريبا على اسماع هؤلاء .. عندما اقول لهم ان جميع الأفلام الكورية التى شاهدتها لم يكن فيها قصة غرام واحدة ، ولم يكن فيها قبلة واحدة .. ولم يكن فيها مشهد واحد تصور فيه البطلة وهى تتعلق باقدام البطل ... ولم يكن فيها كباريهات ولا أغانى الوجد والضياع .. كما لم يكن فيها الحنين الى حيازة القصور والخدم والحشم .. وانما كانت كلها مستمدة من تاريخ النضال من أجل الاستقلال أو تتناول مشاكل البناء المعاصرة . ومع ذلك ، فانها تعتبر قمما فى عالم الفن السينمائى .. سواء من ناحية اخراج أو التلوين أو الأداء أو الموسيقى أو تاثيرها فى المشاهدين ...



المباريات الموسيقية فى قصر الاطفال بمدينة بيونج يانج فرصة حقيقية لظهور المواهب الفنية الرائعة .

حتى العاب السيرك وفكاهات المهرجين .. كلها ذات مضمون سياسى واضح أو مستتر ولكنها فى الحالين تعرض بطريقة تهز المشاهدين ، وتجعلهم وهم يكادوون ينفجرون من فرط الضحك لا ينسون أبدا علام يضحكون !

بل ان رقصات فرق الفنون الشعبية ايضا فى معظمها تحمل مضمونا سياسيا .. ومع ذلك ، فلا يستطيع المرء أن يتمالك نفسه وهو يتابعها اعجابا واستحسانا ..

ولعل اهم ما يلفت النظر فى الفنون الاستعراضية الكورية هى تميز بالعفة المطلقة .. والبعد التام عن اثارة الغرائز .. فلا يوجد فى المسرح الكورى أو الأغنية الكورية أو الرقصات والأفلام الكورية كلمة واحدة تشير الى الجنس أو مشهد واحد تحمر له وجوه العذارى ..

والقاعدة .. هى ان مهمة الفن هى تحريك ومخاطبة اسمى ما فى الانسان من مشاعره وليس احط ما فيه من غرائز .

وأمام هذا التفوق الفنى الذى بهرنى بحق ، أخذت اتساءل . من أين لهم كل هذا ؟

هل يمكن أن يكون كل هذا من صنع الثورة فقط ؟ أم هو شىء أصيل فى التكوين النفسى للشعب الكورى ؟

ولعلنى بعد زيارتى للعديد من مدارس الأطفال . ومشاهدتى لهم وهم يتلقون دروس الرقص والغناء والتذوق الفنى كمواد أساسية يؤدون فيها الامتحانات وينالون بها الجوائز ..

ولعلنى أيضا بعد أمسية لا انساها قضيتها فى مسرح قصر الأطفال ببيونج يانج أستطيع ان اقول :

وربما كانت الملكة الفنية تولد مع الانسان ـ أى انسان ـ فى كل مكان .. ولكنها تحتاج دائما الى من يأخذ بيدهـــا وينميها ويدفع بها فى طريق التطور السليم ..

وهـــذا ما يفعلونه مع الأطفال فى كوريا .. ولهذا نجدهم على هـــذا المســـتوى عندما يكبرون ..

* * *

الفصـــــل التاســـع

اذا كان الشعار الذى ساد كل فرع من فروع النشــاط فى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية اثناء العدوان الأمريكى هو : كل شىء من أجــل الانتصار .. فان الشعار السائد اليوم هو :

كل شىء من أجــــل الوحــــدة ...

المصانع تنتج ، ويجب أن يتضاعف انتاجها لكى تسد احتياجات الاشقاء فى الجنــوب عندما تتم الوحدة ...

والجامعات تخرج اعدادا أكبر من العلماء والمهندسين والفنيين والاطباء .. فعندما تتم الوحدة سيكون الاشقاء فى الجنوب فى حاجة الى المزيد من هــؤلاء ..

والتفوق ضرورى فى كل شىء ، ابتــداء من التدريبـــات العسكرية حتى لعبة كرة القدم ، ومن الانتــاج الصناعى الثقيــل حتى الرقص الشعبى لكى يزداد اقتناع الاشقاء فى الجنــــوب وانجذابهم الى الوحدة .

واينما تحدثت مع الكبار أو الصغار ، لا بد وأن تصافح اذنيك هذه العبارة : « وعندما تتم الوحدة سيكون كل شىء أفضل » ..

الوحدة اذن فى حياة كل كورى أمل ، ومهمة ، بل هى أعظم أمل واسمى مهمة .

وقد كان من حظى اثناء المدة القصيرة التى قضيتها فى كوريا ان اشهد اول اجتماعات الصليب الاحمر لكل من كوريا الديمقراطية

والجنوبية فى موقع بان مون جوم ، وذلك بعد ايام قلائل من اذاعة نبأ الاتفاق الذى تم بين ممثلى شطرى كوريا على الدخـــول فى محادثات تمهد الطريق لاعادة توحيد البلد الواحد .

وعلى طول الطريق الى بان مون جوم لاحظت آلافا من الفتيان على الجانبين يعملون بهمة غير عادية من اجل توسيع الطريق ...

وقال لى مرافقى :

ـ هذا هو الطريق الرئيسى الذى يصـــل بين بيـونج يانج وسيول ، وبمجرد اعلان الاتفاق الذى يبشر بقرب تحقيق أمـــل الوحدة ، تطوع عشرات الالوف من الشباب من أجل توسـيـــيع الطريق الذى سيربط بين اكبر مدينتين فى الوطن الواحد ..

وسكت مرافقى لحظة قبل أن يضيف وعيناه تلمعان :

ـ وحتى يكون الطريق للوحدة أكثر اتساعا .

وانطلقت السيارة تشق طريقها بين الروابى الخضراء ..

ولم ادرك اننا دخلنا اراضى كوريا الجنوبية الا عندما توقفت سيارتنا أمام عارضة تسد الطريق ، والى جوارها كشك خـــرج الينا منه عملاق أمريكى ، فى فمه لبانة ، وعلى كتفه مدفع رشاش

وفحص الامريكى أوراقنا ، وتفحص طويلا فى جواز المروربصلف زائد لم اجد معه الا تعمد الانشغال التام بقراءة جريدة كانت معى

وباشارة متأففة من يده ، رفعت العارضة واستأنفت سيارتنا مسيرتها .. لتقف بعد ذلك أمام كشك آخر وليطالعنـــا منه عملاق أمريكى آخر ، نسخة طبق الاصل ، وفى فمه نفس اللبانة ، وعلى كتفه نفس المدفع الرشاش ..

وكانت صورة جعلت الدم يغلى فى عروقى ..

ماذا يفعل هؤلاء الامريكيون هنــا .. على بعــد آلاف الاميــال من بلدهم ، وفى قارة أخرى ، يفصلهم عنها أكبر محيطات الدنيا وابعدها اتساعا ؟ بأى حق، يفحص هذا الامريكى جواز سـفرى ويوقفنى أو يسمح لى بالمسير كيفما يشاء ، كأنما هو فى بلده ؟ .

ولكن لعلنى كنت غاضبا لأنى تذكرت ساعتها ان هؤلاء الامريكيين هم انفسهم الذين يناصبون وطنى العداء ويحرضون اسرائيــل ويشجعونها ويسلحونها حتى الاسنان لكى تواصل عليه العدوان ..

وهؤلاء الامريكيون هم الذين يذبحون الآلاف فى فيتنام — وهم الذين يستنزفون ثرواتنا فى المشرق العربى ، هم الذين يتربصون بالشعب الكورى .. هم الذين يدبرون المؤامرات التخريبية فى سائر القارات الخمس ..

وأخيرا توقفت سيارتنا للمرة الاخيرة داخل موقع بان مون جوم ذاته ... وهو عبارة عن مجموعة من القاعات نصفها باللون الابيض ويعتبر ايضا تابعا لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية والنصف الآخر باللون الأزرق ويعتبر أرضا تابعة لكوريا الجنوبية، أو بمعنى أصح للولايات المتحدة .

وحول المكان كله ينتصب الجنود الامريكيون بشكل استفزازى ورشاشاتهم مشرعة فى وجوه الجميع • وبعضهم مستغرق فى التقاط الصور بكاميرا سينمائية ، ومهتم بنوع خاص بتصوير الضيــوف الاجانب القادمين من ناحية الشمال •

وكان المكان أشبه ببرج بابل ، حيث تجمع حول القاعة المجتمع بها ممثلو الصليب الاحمـر أكثـر من مائتى صـحفى من كافة الجنسـيات والاتجاهات ، بعضهم جاء مع الـوفد القـادم من الشمال ، والبعض الآخر مع الوفد القادم من الجنوب ، والحديث بـكل اللغات ، ولكن اولئك المجتمعين فى داخل القاعة كانوا يتحدثون بلغة واحـدة .. هى لغة بلدهم ..

وكما قلت لاحد الصحفيين الامريكيين يومها . كانوا يبدون كأفراد اسرة واحدة اجتمعوا لكى يناقشوا بعض المســائل العائلية ، ولم يكن هناك نشـاز فى الصورة كلها سـوى الجنـود الامريكيين برشاشاتهم على الاكتاف ، اللبان فى الافواه .

والذى لا نزاع فيه أن الوحدة مطلب شعبى فى الجنوب مثلما هى أمل ومهمة بالنسبة للشمال ، وتحقيق الوحدة بشكل سـلمى وبعيدا عن التدخل الاجنبى ووفقا لاستفتاء حـر بمعنى كلمة الحرية شعار يجد التأييد من كل الشرفاء فى جميـع انحـاء العـالم .. ولكن الامريكيين يشكلون عقبة كئودا فى طريق هذه الوحدة لانها تعنى خروجهم نهائيا ، بل انها لا يمكن أن تتحقق الا اذا خرجوا نهائيا من كوريا .. وهم بالطبع لا يريدون هـذا الخـروج .

ومن ناحية أخرى فان الطبقات المستفيدة حاليا من الوضـع القائم فى كوريا الجنوبية والتى تخشى امتداد الاشـتراكية الى ممتلكاتهم تعارض الوحدة وتقيم فى طريقها شتى العراقيل ..

ولكن من المؤكد أن الغلبة فى النهاية سـتكون للجمـاهير الشعبية التى لا بد وان يثمر ضغطها ويتحقق لها ما تريد .

الفصـل العاشـر

لعل أهم حقيقة يلاحظها المرء فى حياة الشـعب فى النصف الشمالى من شبه جزيرة كوريا هى ان كل فرد فيه ابتداء من اطفال المدارس الابتدائية حتى الشيوخ الطاعنين فى السن يعتبر نفسه جنديا من جنود الثورة ، وليس بحال من الأحوال مواطنا عاديا يأكل ويشرب وينام ويحب ويدرس ويعمل .. وانما هو جزء من الثورة يتفاعل معها بكل ايمانه ووجدانه وعقله وقلبه .. رلا يتصور لنفسه حياة الا بها ومعها ومن اجلها ..

اذا كانت الثورة فى مرحلتها الاولى هى الكفاح المسلح ضـد الاستعمار اليابانى ومن أجل الاستقلال ، ثم فى فترة أخرى تدعيم الجزء المستقل من الوطن ، وفى مرحلة ثالثة النضال المستميت الباسل ضد الغزو الامريكى .. فانها اليوم تعنى بناء الوطن الكورى المستقل ليكون قلعة صناعية وزراعية وفيرة الخير لأهلها أجمعين .. وتحقيق وحدة الوطن الكورى فى ظل مجتمع اشتراكى متطور مطرد النمو والازدهار ..

وهذه المعانى تجدها واضحة كل الوضوح اينمـا ذهبت فى كوريا الديمقراطيـة ليس فقط لدى كـوادر الحزب أو المنظمـات المختلفة التى تضم المواطنين من مختلف الفئات والاعمار ومن بينها منظمات الرواد والطلائع للاطفال ، ومنظمات الاتحـاد النسائى للفتيات ، ثم منظمات الشباب ، وأخيرا الحزب للبالغين والشعب العامل ــ وانما تستطيع ان تلمسها لمسا وانت تستمع الى اناشيد

الاطفال فى المدارس .. فى اصواتهم الملتهبة بالحماس وعيونهم اللامعة بنور الثقة والأمل واليقين .. وتستطيع ان تراها حتى فى الحديث العادى مع سائق السيارة او جرسون المطعم او موظف الحسابات أو حالبة الالبان فى احدى المزارع الجماعية أو مدير المصنع أو عامل البواية .. كل فرد واحد يعتبر نفسه صاحب رسالة ، ومسئول عن حماية الثورة وتحقيق اهدافها ، ناسيا نفسه بالمرة ، ومستعدا فى اية لحظة وبدون اى تردد للتضحية بذاته فى سبيلها .

والذى لا نزاع فيه أن هذا الذوبان التام فى المجموع ، والالتزام الكامل بالقضية ، وبالهدف والايمان المطلق بالزعيم وهو مصدر قوة لا تقهر انما هو امتداد لاستعداد الشعب ، ولكن يجب ان نذكر أن الاستعداد الفطرى ليس هو كل شىء .. بل ليس هو أهم شىء وانما المهم هو المناخ الذى يتطور فيه هذا الاستعداد الى الافضل أو الى الأسوأ ..

وفى يقينى .. ان المسئولية الاولى فى هذا المناخ انما تقع على عاتق القيادة .. سواء عن طريق القدوة التى تمثلها ، أو عن طريق التعاليم التى تبشر بها والقيم التى تدعو اليها ، والاسلوب الذى تمارس به دعوتها ..

ولعلنى استطيع أن اقول بلا تحفظ ، ان القيادة فى كوريا الديمقراطية قد احسنت صياغة المناخ الذى يتاح فيه لأفضل تقاليد وقيم الشعب الكورى ان تنمو وتزدهر .

وعلى رأس هذه القيادة .. الزعيم كيم ايل سونج .

والواقع أن الرئيس كيم ايل سونج لم يعد يمثل بالنسبة للشعب الكورى مجرد قائد أو زعيم .. وانما هو أكثر من هذا .. انه الرمز الذى تتجسد فيه انتصارات الشعب الكورى وانجازاته وآماله وتطلعاته ..

وفكرة « الوطنية » لدى الشعب الكورى تمتزج امتزاجا كاملا بفكرة الولاء للزعيم كيم ايل سونج والثقة التامة به والاستعداد المطلق لكل انواع التضحيات فى سبيله ..

وصورة الرئيس كيم ايل سونج تجدها معلقة على صدور كل الكوريين ابتداء من أطفال دور الحضانة حتى أكبر الشيوخ الطاعنين فى السن ..

وتعاليم الرئيس كيم ايل سونج وارشادته وتوصياته تجدها منقوشة باعزاز وتبجيل فى كل مكان .. فى الشوارع والميادين والمصانع والمدارس والمزارع والمستشفيات والنوادى الرياضية وقصور الاطفال ودور الثقافة والمسارح والسينما ومحال الجمعيات الاستهلاكية واعمدة التليفون وبرامج الاذاعة ومحطات السكك الحديدية وجدران الأنفاق وأى مكان يخطر على البال .

ويكاد الزعيم كيم ايل سونج يعيش بشخصه فى حياة كل فرد كورى واسرة كورية .. فى العمل كما فى المنزل ..

واذا كان الكبار يحبون القائد كيم ايل سونج ويبجلونه .. فان الاطفال يعتبرونـه أبا لهم ، بل أن الكوريين جميعا ينظرون الى الرئيس كيم ايل سونج نظرتهم الى الأب .

والرئيس كيم ايل سونج نفسه يعتبر الكوريين كلهم أولاده ..

انها اذن علاقة اسرية خالصة ، بنفس المفهوم للعلاقة الاسرية لدى شعوب الشرق الاقصى : الحب المتبادل فى أكمل درجاته .. منتهى التفانى من الكبار فى خدمة الصغار ، ومنتهى التبجيل من الصغار فى طاعة الكبار ..

وبهذا الحب استطاع الزعيم كيم أيل سونج أن يجمع الشعب حوله فى كتيبة واحدة متجانسة .. بل فى كتلة واحدة متماسكة .. ليس فقط لانجاز مهام الحرب ، وانما ايضا لانجاز مهام السلام .

والرئيس كيم ايل سونج من ذلك الطراز النادر من قادة الدول الذى لا يستطيع ان يستقر على مكتب يوما بعد يوم . وانما هو يعرف مكانه دائما مع الشعب .. فله فى كل يوم جولة بهذا المشروع أو ذلك المصنع أو تلك المزرعة .. يتفقد ويفحص ويناقش ثم يقول تعليماته ، فاذا بها تصبح شعارات يتسابق الجميع الى الاخذ بها وتنفيذ ما جاء بها من توصيات .

وفى كل مصنع او متحف أو مدرسة او قصر ثقافة او مكتبة أو أى منشأة عامة زرناها كنا نجد مكانا ما .. عبـــارة عن مقعـد بسيط ، ومنضدة اكثر بساطة ، تغطيهما مفارش بيضاء ، وحولهما كردون انيق ، ومعهما بطاقة من نحاس او رخام تقول : فى هذا المكان ، جلس الرئيس كيم ايل سونج أثناء زيارته فى يوم كذا شهر كذا سنة كذا .. وكانت نتيجة الأخذ بارشاداته ان زاد الانتاج فى نفس العام بنسبة كذا فى المائة ؟

ويتميز الرئيس كيم ايل سونج بتواضع حقيقى غير متكلف .. اذا ما تحدث اليه أحد استمع منه باهتمام كأنما هو يتعلم منه ،



كانت السيدة كانج أن سوك مناضلة ثورية عظيمة لقنت ولدها كيم ايل سونج حب الوطن والاخلاص للشعب

واذا تكلم هو فببساطة وهدوء وبدون أى انفعال .. ولكن الأمر يختلف عندما يخطب فى الجماهير ، فانه ـ كما قال أحد أعضاء اللجنة المركزية ـ قادر على أن يجعـــل الشعر يقف فى راسك والدماء تغلى فى عروقك من فرط الحماس ..

ويميل الرئيس كيم ايل سونج الى الدعابة ، وكثيرا ما تتضمن احاديثه النكات اللاذعة يطلقها ضد اعداء الشعب الكورى فيضحك لها الملايين ويستشار ضدهم فى وقت واحد ..

و « كيم » هـــو لقب الاسرة .. ومعناها « الـذهب » فالكوريون كما نرى على خلاف غيرهم يبدأون اسمهم بلقب الاسرة .. و « ايل سونج » هو اسمه الحركى ، أطلقه عليه رفاقه فى مطلع ايام الكفاح المسلح ضد اليابانيين ، ومعناها « النجم الفريد » أو « الذى يتحول الى شمس » : اما اسمه العائلى فهو كيم ســونج جـنو .

وقد ولد فى ١٥ ابريل ١٩١٢ بقرية مانجيونجداى بضـواحى بيونج يانج لاسرة تنتمى الى فئة فقراء الفلاحين ، ولكن لها ماض عريق فى مقاومة المستعمرين .. فجده الأكبر ، كيم أونج أو ، كان على رأس الوطنيين الذين هاجموا السفينة الامريكية « الجنرال شيرمان » عام ١٨٦٦ حين جاءت لتفتتح سجـــل الاعتداءات الامريكية ضد كوريا .

اما والده ، كيم هيونج جيك ، فكان من رواد الثـورة الكورية ومن أوائل قادة حركة التحرير الوطنى .. وقد أسس جمعيـــة المواطنين الكوريين فى مارس ١٩١٧ ، وكان اذ ذاك يحترف مهنة التدريس . وفى نفس العام دخل السجن وقضى بـــه نحو عامين تعرض خلالهما لكثير من التعذيب والتنكيل .

وعندما أفرج عنه انتقل للكفاح السرى ، وأقام مركز نشاطه فى أقصى الشمال بعيدا عن قبضة الدولة ، وأخذ يمارس دعوته للثورة وتنظيم الخلايا واقامة المدارس وسط الفلاحين حتى وافاه الاجل عام ١٩٢٦ متأثرا بالعلل التى اصابته نتيجة التعذيب فى السجن ..

وكذلك كانت الأم ، السيدة كانج بان سوك مناضلة ثورية لا تلين لها قناة ، وقد حملت راية الكفاح مع زوجها وبعد وفاته .. حتى سلمتها الى ولدها ، وكانت وراءه تشجعه وتدفع به الى مواطن الفداء ، بينما هى نفسها تواصل النشاط الذى بدأه زوجها الراحل بنفسها ثم برسائلها وهى طريحة الفراش ، حتى اسلمت الروح فى ٣١ يوليو ١٩٣٢ . وكان عمرها حينذاك ٤١ عاما .

كذلك ، كان كيم هيونج جون ، عم الزعيم ، مناضلا ثوريا انضم للكفاح المسلح منذ نعومة اظافره ، واعتقله اليابانيون فى اوائل الثلاثينات وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ، ولكنه مات وراء الأسوار . كذلك قتل شقيقه الأصغر اثناء المعارك ضد اليابانيين عام ١٩٣٥ .

وهكذا كان الجو الذى ولد وتربى فيه كيم ايل سونج مفعما بروح الثورة والفداء ..

وعندما رحل الأب كيم هيونج جيك الى الشمال ، لحق به الابن ــ كيم ايل سونج بعد نحو عام ، ولكنه لم يلبث ان اعادة عام ١٩٢٤ ليلتحق بالمدارس الكورية تحت رعاية جديه .. وبعد عامين ، قرر الابن الصبى أن يعود للشمال مرة أخرى .. ويقول هو عن هذه الفترة :

عبرت نهر امروك كانج فى سن الرابعة عشر . وقد عقدت العزم على ألا أعود قبل أن تستقل كوريا . ومع كل صباى حينذاك تملكنى الأسى وأنا أنشد « اغنية نهر أمنوك كانج » التى الفها واحد من عامة الشعب . وأخذت اتساءل متى سيتاح لى ان اطأ هذا الثرى مرة أخرى ؟ متى أعود الى هذه الأرض التى ترعرعت فيها والتى فيها يرقد أسلافى فى قبورهم » ..

ومنذ هذه اللحظة بدأ كيم ايل سونج سجل كفاحه العريض الذى ما زال يضىء حتى اليوم كل يوم بانتصارات جديدة ..

وقد ألحقه ابوه عقب عودته بمدرسة هواسونج ايسوك وهى مدرسة أسسها القوميون الكوريون فى المنفى بهدف اعداد كوادر جيش الاستقلال .

وكان جيش الاستقلال منظمة تغلب عليها أفكار العنصرية الرجعية ولم يقدر لها الصمود طويلا أمام الضغط اليابانى ..

وفى مدرسة هواسونج ايسوك بدأ كيم ايل سونج يخطو أول درجاته على سلم القيادة ، حيث أسس وقاد منظمة سرية ثورية تحت اسم اتحاد اسقاط الامبريالية .

وانتقل المناضل كيم ايل سونج الى مدرسة يوك مون الاعدادية فى بلدة كيل ليم ، وهناك أسس مجموعة ثورية أخرى تحت اسم « اتحاد فتيان ساينال » أى « اتحاد فتيان اليوم الجديد ، وأصدر أول جريدة له وكان تحمل اسم « اليوم الجديد » أو « ساينال » .

وأخذ المناضل كيم ايل سونج من خلاله يعمل على تكوين الخلايا وتوسيع قاعدة الثقافة السياسية مستعينا بكل ما يمكن ان يصل الى يديه من كتب الاشتراكية العلمية والفكر الماركسى .

وفى صيف ١٩٢٧ أصبح اسم اتحاد اسقاط الامبرياليـة الذى يقوده كيم ايل سونج عصـبة الشـباب المناهض للامبريالية لكى يتوحد فيها كل الطلاب التقدميين ، وفى نفس الوقت كـون نواة فى داخلهم باسم « عصبة الشباب الشيوعى الكورى » ..

وامتدت خلايا العصبتين لتشمل الى جوار مدرسة يوك مون العديد من مدارس البنين والبنات بمدينة كيل ليم ، وكذلك المدن المجاورة مثل تونهوا ، وهواجون ، وموسونج وبانسوك وتشانج شون وهالبين .. الخ .. وتطورت هذه الى منظمات ثورية مناضلة تضم اعدادا غفيرة من الشباب والطلاب .

كذلك اسس جمعية الفتيـان الكوريين فى كيـل ليم فى نفس الفترة ، وأعاد تشكيل جمعية ريو جيل للطلاب الكوريين .

وابتداء من ١٩٢٨ اخذ يمد نشاطه فى الجبهات الواقعة شرقى كيل ليم وعلى طول الخط الحديدى الممتـد الى تشـانج شـون وكان يتولى بنفسه تحرير المنشورات والنزول الى القرى وتأسيس المدارس فى القرى ناشرا فى كل مكان روح المقاومة ضد الاحتلال اليابانى .

وفى عام ١٩٢٨ قاد أول اضراب له ضد المعلمين الرجعيين ، وأفاد من هذه التجربة فائدة عظيمة عندما قاد مظاهرات الطلاب فى كيل ليم ضد بناء الخط الحديدى الذى شرع فيه الامبرياليون اليابانيون ليخـدم اغراضـهم العسكرية فى منشـوريا . وفى نفس الوقت قاد معركة اقتصادية هدفها مقاطعة البضائع اليابانية .

وفى نفس الوقت ، خاض المناضل كيم ايل سونج سلسلة من المعارك الايديولوجية ضد سائر الانحرافـات اليسارية واليمينية

والانتهازية داخل الحركة الثورية الكورية فى المنفى . وكان للخطوط الواضحة التى يقدمها لتكتيكات الكفاح واستراتيجية أثر كبير فى انصراف الشباب وسائر الوطنيين التقدميين عن القيادات الانتهازية والتفافهم حوله ، ولم يلبث أن أصبح القائد المعترف به والذى ليس له منازع بين الشباب والطلاب وسائر جماهير الشعب .

ومنذ هذه السنوات المبـــكرة كان اسم كيم ايل سونج ـ الزعيم البطل الذى ينظم الثورة فى الشمال ـ يدوى كالطبل فى جميع انحاء كوريا ، فيلهب حماس الجماهير ويوقظ احلامهم .. وفى نفس الوقت ينبه سلطات الاحتلال اليابانى وعملائها الى الخطر الماثل الذى يتخذ مراكزه فى منشوريا ..

وتحت تأثير تحريض اليابانيين اعتقلت الشرطة الصـــينية الرجعية فى تلك الأيام كيم ايل سونج ٣ مرات فى أقل من عامين وتعرض خلال الاعتقال الى كثير من الارهاب والتعذيب ولكنه خرج من السجن فى ربيع ١٩٣٠ أثر انتهاء مدة حكم عليه بها وقد وصل الى وضع نظرية وخطة كاملة للتحرير ..

وكانت نقطة البداية هى الانتقال من الكفاح السياسى الى النضال المسلح ..

وفى صيف ١٩٣٠ ، عقد الزعيم كيم ايل سونج مؤتمر فى مدينة كالون ، حيث دعا اليه الأعضاء القياديين فى شتى الجمـــاعات والمنظمات التى انشأها طوال السنوات الأربع السابقة .

وفى هذا المؤتمر ، طرح الزعيم كيم ايل سونج خط الكفاح المسلح لتحرير كوريا .. وترددت لأول مرة عبارة « الجوتشى » ..

وقال الزعيم كيم ايل سونج :

« ان هدفنا المباشر هو سحق المعتدين الامبرياليين وتحقيق تحرير كوريا واستقلالها . غير ان الامبريالية اليابانيـــة التى يستهدفها نضالنا لص يقطع الطريق ومدجج بالسلاح من الرأس حتى اخمص القدم . ولذلك فان الامبريالية اليابانية لن تنسحب عن طيب خاطر • فمن الذى سيحرز الاستقلال لكوريا ؟ ان تحقيق ذلك بالعون الاجنبى مستحيل اطلاقا .. »

« •• وانما الطريق الوحيد هو أن نقاتل نحن الكوريين ونقهر الإمبرياليين اليابانيين بقوتنا الخاصة •• ولهذه الغاية لابد ان نخوض الكفاح المسلح .. »

وبعد أن افاض الزعيم كيم ايل سونج فى شرح الخط الثورى للنضال المسلح ضد اليابان قال :

« .. ولا ينبغى بحال من الاحوال ان نبالغ فى تقدير قـــوة العدو .. او أن نهون من شأنها . ولكى نقاتل العـــــدو الشرير ونهزمه يجب أن ننمى قوتنا بسرعة . ويجب أن نتجنب النزاعات والتضحيات بلا معنى ونحن الان فى مرحلة اعداد القوى الثورية. ولكن من المهم بالنسبة لنا ان تكتسب الصلابة من خلال النضال العملى ، حيث نستطيع ايضا أن نتعلم الاستراتيجية والتكتيك . فنحن لا نستطيع أن نجلس وننتظر آملين أن يأتى النصر من تلقاء ذاته . وانما لابد لنا ان نسحق الامبريالية بقوة السلاح . ولهذه الغاية ، يجب أن نبنى قوتنا بسرعة .. !! »

وانتصر خط الزعيم كيم ايل سونج .

وفى صيف ١٩٣٠ ، تشكل الجيش الثورى الكورى كمنظمة

سياســــية وشبه عسكرية للثوريين الكوريين بقيــــادة كيم ايل سونج .

وتجلت منذ اللحظة الاولى قدرات المناضل كيم ايل سونج القيادية التى لازمتــه ولا زالت تلازمه حتى الآن ، والتى جعلته يستحق من شعبه أن يلقبه « الزعيم المحبوب المبجل المنتصر دائما أبدا .. »

كان دائم التجوال بين القــــرى ، يجالس الفلاحين ويستمع منهم ويعلمهم ويشرح لهم نشاط الجيش الثوري الكورى ويجند له خبرة الشباب ..

وكان لا يتورع عن السير على قدميه ليلتين كاملتين ليلتقى بمجموعة انقطع اتصالها لسبب أو آخر . وكان ينزل ورفاقــه ليساعدوا الفلاحين فى مواسم الحصاد أو العمل الزراعى المرهق أو اصلاح السدود المنهارة ..

وكان اذا ما نزل ضيفا على بعض الانصار عمد الى مساعدة ربة المنزل فى عملها اليومى .. فى اعداد الطعام أو تنظيف الاوانى أو مداعبة الصغار الذين كانوا ينتظرون دائما « العم الجنرال » بكل اشتياق ..

وكان يقاسم جنوده كل مشاقهم .. بل يقدمهم دائما على نفسه .. وكثيرا ما كان يتنازل عن وجبة طعامه الأخيرة لزميل وصــل لتوه .. أو يعطى حذاءه فى الشتاء الثلجى لرفيق تهرأ حذاؤه مكتفيا بأحزمة القش يربطها على قدميه .. أو يتنازل عن جواده لزميل متعب ويكمل هو المشوار راجلا ..

وفى الغزوات ، كان دائما أول من يهاجم ، وآخر من ينسحب وعند العبور ، وجنود العدو تجد فى أثر وحدته ، كان يشرف أولا

على عبور الكل الى شاطىء الأمان ويكون هو آخر من يلحق بهم

ومع أنه لم يدرس التكتيك العسكرى فى اى معهد أو كلية أركان الا ان تكتيكاته فى حرب العصابات ، ثم فى الحرب الوطنية ضد العدوان الامريكى تدرس الآن كمراجع فى الكليات العسكرية بعدد غير قليل من بلدان العالم ..

ولا زال الرئيس كيم ايل سونج يعيش حتى اليوم فى حياته الخاصة عيشا متواضعا خاليا من اية أبهة أو زخرف ..

وفى زيارته للمزارع الجماعية ، لا يجد اية غضاضة فى ان يجلس على لاارض وسط الفلاحين أو يستأذن من سائق الجرار أن يأخذ مكانه فترة من الوقت يختبر فيها بنفسه صلاحية الجرار للتربة التي يعمل بها ..

« وأهم هواية يمارسها الزعيم الكورى ، الذى تم انتخابه فى ديسمبر ١٩٧٢ رئيسا للجمهورية بعد تصديق الشــــعب على الدستور الجديد ، هى الطــــواف بأرجاء بلاده وتفقد مشاريعها والاشراف على سيرها ووضع اللمسات الاخيرة فى تصميمات المشروعات الجديدة ومعايشة العاملين بها ..

باختصار الحياة مع شعبه باستمرار ..

وتاريخ المناضل كيم ايل سونج منذ تكوين الجيش الثورى هو تاريخ كوريا كلها .. هو تاريخ نضال شعبها الذى تحدثنا عنه فى الصفحات السابقة هذا الحديث السريع .

خاتمة

وهكذا .. تنتهى فصول هذا الكتاب ..

وهو كما قلت في المقدمة .. ليس عن كوريا ، بقدر ما هو لنا ... لشعبنا .

ولربما أحسنست وان اختتمه أن عنوانه « كوريا . شعب وثورة وزعيم » كان أكبر منه .. حيث لم يكن من المستطاع فى هذه الصفحات المحدودة ، وفى نطاق ما تيسر من امكانيات ان يوفى الموضوع حقه بالكمال والتمام ..

غير انى أرجو ان اكون قد وفقت على الأقل فى وضع مجرد رؤوس موضوعات ..

وليكن هذا الكتاب مجرد علامة على الطريق .. طريق التضامن مع شعب يسير معنا على نفس الدرب ، ويواجه من المشاكل مثلما نواجه . ويتربص به نفس العدو ..

أن العالم كله اليوم يشهد مرحلة تحول حادة يحكمها الصراع الذى تخوضه شعوب العالم ضد الامبريالية العالمية وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية بالذات ..

وسوف تحسم نتيجة هذا الصراع مستقبل البشرية لسنوات طويلة بل لاجيال عديدة قادمة ..

واتجاه حركة التطور يقول بحتمية اندحار الامبريالية العالمية فى هذا الصراع ..

ولكن هذا الحتم لن يأتى من تلقاء نفسه ، وانما لابد لنا من دفع عجلة التطور بأيدينا كى نعجل باليوم الموعود .. اليوم الذى تلفظ فيه الامبريالية آخر انفاسها ، وتتحول فيه القارة الأمريكية ذاتها بكل قوتها وثروتها لتكون قلعة للسلام والتقدم .

وتضامن الشعوب فى وجه العدو المشترك هو سبيلها لاحراز الهدف المشترك ..

ولقد لمست أثناء زيارتى لكوريا كيف انهم هناك يفهمون حقيقة العدوان الاسرائيلى الأمريكى على بلادنا ، وكيف يشاركوننا اوجاع النكسة وتطلعات الانتصار ..

ولكم أسعدنى ، وأنا أشهد حفل زفاف فى قرية تبعد عن بيونج يانج مئات الأميال أن يترك والد العروس كل شىء بمجرد علمه اننى ضيف من مصر .. فيجلس الى طيلة المساء يحدثنى عن العدوان ، ونوايا الصهيونية ، والتواطؤ الامريكى حديث العارف الخبير المتحمس لنا كانما القضية قضيته وهو طرف فيها ..

هذا الاحساس بالتضامن معنا لم يفارقنى لحظة واحدة طوال اقامتى وتجوالى هناك .. وكل ما أرجوه .. ان يكون هذا الكتاب تعبيرا من جانبنا عن تضامننا معهم بنفس القوة ونفس الحماس .

ثم ماذا ؟

ثم شكرا لك يا قارئى العزيز .. ان قرات كتابى حتى وصلت الى هذه السطور .

مصطفى كمال
يناير ١٩٧٣

مطابع الاعلانات الشرقية

رقم الايداع ١٩٧٤/٤٤٣١


Bibliotheca Alexandrina
0697365